

تفسير سورة الكوثر

فهرس مطالب الفصول التي في تفسير هذه السورة

- ١ (١) ربط السورة اجمالاً بالتي قبلها والتي بعدها
- ٢ (٢) معنى كلمة كوثر لغة وتاديلاً
- ٣ (٣) اقوال السلف في تاديل كوثر
- ٤ (٤) مأخذ اقوالهم ومرجعها الى الاتفاق
- ٥ (٥) اللوامع الدالة على ان الكوثر هو بيت الله واهله
- ٦ اللامعة الاولى من قسمته بالكوثر من جهة الحج
- ٧ الثانية من جهة تشبيه المساجد بالفجر
- ٨ الثالثة من جهة اشتراك معنى الكوثر
- ٩ الرابعة من الاشتراك في الواردين
- ١٠ الخامسة كون فتح مكة ينبوع الكثرة
- ١١ السادسة لما سمي الله كلمة مباركاً
- ١٢ السابعة من موقع نزول السورة
- ١٣ الثامنة من تطبيق موضع منه بمبنة صلى الله عليه وسلم
- ١٤ التاسعة من اشارته الى موضعه
- ١٥ العاشرة من تطبيق طول الكوثر بالحرم
- ١٦ (٦) النهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من متردد الحاج

- ١١ (٤) تظير ذلك في ذكر روحانية اورشليم
- ١٢ (٨) تاويل قوله تعالى «انا اعطيتك الكوثر»
- ١٣ (٩) تاويل قوله تعالى «فصل لربك وانحر» وبيان ربطه بما قبله بوجه :-
- ١٤ الوجه الاول انه تنبيه على المقصود
- » الثاني انه اخبار بما يقبى العطاء
- ١٥ » الثالث ان فيه تسلياً
- ١٥ » الرابع انه بيان ما عاهدنا به من الحج والصلوة والنحر
- ١٦ » الخامس انه عهد بالتوحيد
- ١٦ (١٠) المناسبة بين الصلوة والنحر من وجوه :-
- ١٦ الوجه الاول بمناسبة الايمان والاسلام وفيه بيان كون اوضاع
- الصلوة افوا الايمان احوال وان الصلوة اول الشرائع
- ١٩ » الثاني مناسبة ايموة والموت
- ٢١ » الثالث كون الصلوة نحرًا
- ٢٢ » الرابع كون النحر صلوة
- ٢٢ » الخامس كونها ذكر الله تعالى
- ٢٢ » السادس كونها شكر الله تعالى
- ٢٢ » السابع كونها تحقيقاً للتقوى
- ٢٥ » الثامن كونها من المعاد
- ٢٦ » التاسع كونها من الصبر
- ٢٨ » العاشر كونها اقراراً بالملك لله
- ٢٨ » الحادي عشر كونها تقرباً الى الله تعالى

- ۲۹ الوجه الثاني عشر كونهما جلع العبادة الفطرية
- ۳۰ (۱۱) فيما يستنتج من تاويل الآية الوسطى وهي امور :-
- الامر الاول محل هذه الشريعة في الوسط الجامع وهو الكمال
- ر الثاني انحصار توبة اليهود والنصارى في قبول هذه الشريعة
- ر الثالث كون المسلمين فقط ورثة ابراهيم عليه السلام
- ۳۳ (۱۲) تاويل كلمتي «وذا الابر»، و «وذا الابر»،
- ۳۴ (۱۳) تاويل قوله تعالى «ان شاتك هو الابر»،
- ۳۶ (۱۴) موقع النزول ودلالته المصدرة على لبثائجة
- ۳۸ (۱۵) دلالات من مجموع السورة على امور مهمة وهي خمسة
- ۴۰ (۱۶) بشارة الرضوان لامة محمد صلى الله عليه وسلم
- ۴۱ (۱۷) برهان دائم متصل على صدق نبوة صلى الله عليه وسلم
- ۴۲ (۱۸) تصديق ما وعد الله ابراهيم من عموم البركة وفيه ذكر المشاهدة بين ابراهيم
- ونحم عليها الصلوة وان الكعبة هي مبنوع الكوثر

سورة الكوش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوشَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَسْ (٢) إِنَّ
شَانِكَ هُوَ الْكَابُتُ (٣)

(في عمود السورة وربطها بأقبلها وبأبعدها)

١- قد مر في تفسير السورة السابقة - أنها نزلت في ذكر الذين كبرت خيانتهم في ولاية الكعبة لما انهم افسدوا الحج ومناسكها وابلغوا حقيقة الصلوة والنحر بالباطل التوحيد والمواساة بالمساكين نبادا بالويل واللعة، وحق بهم ان يسلمهم الله بهذا النحر ويعطيهم من استحقته حسب سنته كما قال [وان تتولوا سيتبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا اياكم] وكان الله تعالى ينزع ولاية الكعبة عن الخائنين فهذه السورة بشر الله تعالى بنيه بانه اصطفاها وامتة لولاية بيته المحرم وسكن خليفه وذريته التي يبارك بها الامم، كما جاء في التوراة ولذلك سمي الله تعالى بهذا البيت [مباركا وهدى للناس] ولا شك ان هذا العطاء هو الفوز الاكبر والنحر الكوش هو الضمان للحوض الكوش الذي يعطيه الله تعالى في الآخرة، فوضع هذه السورة بالتي قبلها كوقع ذكر النعمة بعد النعمة والعطاء بعد السلب والمستخفين بعد المهلكين، وذلك اسلوب عام في القرآن، وذلك ولما كانت السورة الثالثة في اعلان البهجة من حاريتها حسن في نظم الكلام تقديم سورة البشير

والتسليية ليدل القرآن بقلمه على ان الله تعالى قضى باليسر قبل العسرة وان كان
وقوعه بعد ما، قرى ان اعلان الهجرة الذي تضمنته سورة الكهف ونون وضع بين سورتي
التبشير اعنى سورة الكهف وسورة النقص ثم لما كانت هذه السورة بشارة
للبنى بكثرة احياءه وبقطع اعدائه عن بركات الكعبة جاءت سورة الكهفون بيانا لاصل
هذه المقاطعة وهو التوحيد الذي نبى عليه هذا بيت الله الواحد. **فَهَذَا أَجْمَالُ الْقَوْلِ**
منه عمود السورة وزيلها، واما الاطمينان باذكرنا فيرجى من تفصيل يتبعه.

(تفسير كلمة كوثر وما يليها)

٢- **اعلم ان تاويل هذه السورة مجوز تحت كلمة كوثر**، فالاولى ان نجث ادلا
عن معناها وقد اختلف فيه اتوال السلف رحمهم الله فلا بد من بسط الكلام حتى تبين
القول الرابع والتاويل الواضح والله تعالى هو الموفق للهدى .
لا يخفى ان الكوثر مبالغة الكثير فهو ذو كثرة عظيمة وبركة وثرثرة فان الكثير هو الثرثرة
وقد سموه ابه الرجال كما سموهم بكثير وكثير وترى استعمالا على طريق الصفة في قول لبيد
وصاحب ملحوب فجعنا بموت وعند الرداع ميت آخر كوثر
في قول امية بن ابى عائذ الهذلي

يحمي الحقيق اذا ما احده من جسم في كوثر كما بجلال
فاستعمل الصفة بتقدير الموصوف اى في غبار كوثر، وقد جعلوا منه فعلا كما قال
حسان بن ثابت

ابو الانبيو اجارهم لعدوهم وقد ثار نفع الموت حتى تكوثر
فالكوثر ههنا من جهة اللسان محفل ثلثة وجوه من التاويل الاول انه
منقول الى الاسمية فصا مختصا بشئ سماه الله تعالى بالكوثر. والثاني انه

صفة قدر موصوفها قصار له بعض التخصيص كقولهم "مرد على جرد" أي رجال مرد على خيل جرد وكقوله تعالى [والذريات] أي الرياح الذريات و [ذات الواح] و [وسر] أي فلك ذات الواح و [وسر و بذ] الكثير في القرآن وكلام العرب ولكن لا يوجد إلا إذا كانت الصفة خاصة بالموصوف فيفهم من ذكر مجرد الصفة أدلت على الموصوف قرينة أخرى. والثالث أنه وصف باقي على عموم معناه كاسماء الصنف التي تقع على القليل والكثير ولا تختص وحيدة يكون من جوامع الكلم و يتحمل كلما كان فيه خير كثير وكل حسب القرائن على بعض الأفراد واعلم أن أصل ما تمسك به في تأويل الكوثر هو نظم السورة وموقع آياتها ورباها معانيها وحسن تأويلها كما تبين لك من النظر في الفصول التي بعد الفصل السابع وأما ذكر الوجه الآخر وتطبيق الروايات فلهذا منع الشكوك عن نقل اعتناؤه بحسن النظم ومعاني التأويل. وبعد ذكر هذا التمهيد نذكر أقوال السلف في تأويل الكوثر.

(أقوال السلف في تأويل الكوثر)

١- ذكر ابن جرير رحمه الله في تأويل الكوثر ثلاثة أقوال الأول أنه به في الجنة وروى ذلك عن عائشة رضيها وابن عباس رضيها وابن عمر رضيها والنسائي عن مجاهد والبيهقي عن حماد بن عمار رضيهما والثاني أنه الخیر الكثير وروى ذلك عن ابن عباس رضيهما وعن سعيد بن جبير عن عكرمة ومجاهد رضيهما والثالث أنه حوض في الجنة وروى ذلك عن عطاء رضيها والله لا أرى فرقاً بين القول الأول والثالث. وسمى بالحوض في الموقف وبالخير في الجنة. فان ذلك الحوض من ذلك الخير الجاري منه روى عن عكرمة الذي قال أنه الخیر الكثير أيضاً العروة في رواية أن القرآن وأنه الحكمة وأنه الإسلام - واختار ابن جرير

بعد ذكر هذه الروايات انه اسم نهر في الجنة مستمدا على روايات عن انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتجشم التطبيق بين هذه الاقوال مع ان القائل
بالقول الثاني هو القائل بالقول الاول وكذلك منهم من قال بالقول الثاني.
ثم قال تارة انه القرآن والحكمة وتارة انه الاسلام والنبوة. ثم يعلم من الروايات
انهم كانوا يعلمون ان الكثر نهر في الجنة وقد اخبره النبي صلى الله عليه وسلم
وعنه لهم فكيف يتكلمون بعد العلم لاسيما في اجبرالاته وترجمان القرآن وتليذه
عكرته فلا بد من التامل في كلامهم ليتخلص لنا لباب الحق خاليا عن النصف.

(تأخذ اقوالهم وان مرجعها الى امر جامع)

٣٧ - اعلم ان من اراد من الكثر نهرنا نهر في الجنة ادعوا في الموقف فقد جعل
اسما منقولاً عن الوصفية واعتمد في علي ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الكثر الذي
يعطيه الله في الآخرة. ومن اراد ان الخير الكثير اما بتقدير الموصوف وهو الخيرون
الموقع موقع ذكر النعمة واما بجعل الصفة نفسها خيرا كثيرا واما واحدا - فالظاهر
انه تمسك بوجه الاول انه لو كان منقولاً الى الاسمية لكانت كلمة مثل سليل
وتسيم وعيلين وسجين وعيلين ولعرف القرآن لكونه عربيا سينا والسمية وضع جديد
فاستعمل الكثر بلام التعريف مع انه اسم شئ لم يعرفه يخرج القرآن عن
العربي المبين فلا يحتمل التسمية على طريق النص ولكن يراد منه شئ في الخير الكثير
على سبيل التاويل والثاني انه من عادة القرآن ذكر عطايا الآخرة بصيغة
المستقبل او بما يدل عليه مثل قول تعالى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] و
[يبثك ربك مقاما محمودا] والثالث ان البقاء اللفظ على عمومه يجعله
اوسع واجمع والقرآن انزل جم المعاني ثم الكثر نف يفتى الوسته

فلا تقتصر الايادى . ثم اعلم ان من اراد ان انخير الكثير لم ينكر انخير الالى جاء في
كوشر الآخرة . انما جعلوه عاماً وسيعاً ثم بعد ذلك حملوه على نهر الجنة من عطايا الآخرة و
من العطايا الموجودة الآن على القرآن والحكمة والنبوة والاسلام على سبيل
التفصيل لا على جهة التسمية والتعيين . فذكر الكل الافراد مع ابقاء اللفظ على عمومته .
ومن عادتهم التفسير بالقرآن . فقلوا الكوشر على القرآن لما وصفه الله بالمبارك و
على الحكمة لقوله تعالى [ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً] ولا فرق بينهما فان القرآن
جامع الحكم . وعلى النبوة لقوله تعالى [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] وبكذلك الاسلام
بل الاسلام يشمل الخلق كله لقوله تعالى [ولا اسم من فى السموات والارض]
فهذه الاقوال كلها ما غوذة مستنبطة من القرآن وما لها الى امر واحد وان
اختلفت الالفاظ . واما ما ذكره الامام الرازى رحمه الله من كثرة الاولاد والعلماء
والاتباع والقضاة ورفعة الذكر والخلق المحسن والمقام المحمود وبهذه السورة
وجمع نعم الله وبهذا الآخرة نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما في بعضها يرجع الى ما قدمنا وبعضها
لا يناسب لفظ الكوشر ومع ذلك كلها داخل تحت عموم اللفظ ولكن تفسير السلف
اقوم وادفع استنباط المقصود مما ذكرنا ان ههنا مذهبهم فحب لا مذاهب
كثيرة كما يظهر بدوى الراى وهو ان الكوشر اما بوشى خاص بعينه من خواص او نهر
او حكمة او قرآن او امثال ذلك . او هو عام يشمل كلها كان ذا خير كثير وسمته القائل
بالتعيين ان النبى صلى الله عليه وسلم سماه بهذا الاسم وسمته القائل بان يشمل النهر
وغيره تطبق خبر النبى بالقرآن فاولوا القرآن حسب مقتضى عبارته ثم اولوا ما جاهاهم
عن النبى بالانجاء فهذه اجمع بين التامولين فانه لا تباين بين العام والخاص
وكذلك جمع سعيد بن جبير بن نولى ابن عباس في كوشر كوشى ابن جرير قال
حد ثنا ابو كريب قال ثنا عمر بن عبد عن عطاء عن سيد بن جبير عن ابن

قال الكوثر نهر في الجنة حاتاه من ذهب دفقة يجري على اياتوت و التذراوه
ايض من الثلج و اعلى من العسل، و روى ايضا و هكذا في صحيح البخاري
قال حدثني يثوب قال ثني هشيم قال اخبرنا ابو بشر و عطاء بن السائب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه الله
اياهم قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة قال
نقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه، فهذا توفيق بين
القولين توفيق اخاص بالعام ثم ان امكن التوفيق التام بين القرآن و الحديث
بان يقال ان الكوثر الذي اعطاه الله رسوله في الدنيا هي التي في الحقيقة حوض في
الموقف و نهر في الجنة كان ذلك احسن توفيقا و قد وجدناه ايضا احسن تاويلا
و تذكره في الفصول الآتية بعونه تعالى.

(اللوامع الدالة على ان الكوثر هو الكعبة و ما حولها -)

٥ - قد ظهر ما سبق ان السلف رحمهم الله لم يختلفوا في كون الكوثر الآخرة و لكن حملوا اللفظ
على العموم و راعوا صيغة الماضي فذكر و اما يدخل في مدلول هذا الاسم ليكون اللفظ
عاما و سيعا كون اني دلالة و لذلك سارغ للتأخرين من المفسرين التماس
امور اخر غير ما روى عن السلف فلو كان القول فيه بدعة و ضلالا لكتبت و لكت
السلف و لم يختلفوا فان التمسست قول لا يجعل الكوثرين و احدا لم ارني مخالفا
للسلف كما اني لا اراهم مخالفين بعضهم لبعض بيد انهم جعلوا الكوثر عاما فخلوه على
حوض او نهر في الجنة و على غيره مما فيه الخير العظيم من القرآن و الحكمة و الاسلام
و النبوة من غير رعاية مناسبة بالحوض او النهر و اما انا فاطم على ما هو اشد شي
بحوض او نهر و صفة البقي و كشف له في ليلة المعراج فان الله تعالى اراده

فيه حقايق امور اخرويه وحافيتها من الامور التي في الدنيا فكذلك ارواح روحانية
الكوثر الذي اعطاه في الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما يصرح بما
يكشف له كما قال في امر سورتي البقرة وآل عمران انها تاتيان كخما سنين. وان
الدنيا تاتي كخوشمطاء وان الموت ياتي في صورة كبش صبا يحكي بالاشارة لكي يتفكروا
ويشتبهوا فيكون تعليمات وترية لعقولهم. فان لم يبلننا التصريح منه عليه الصلوة بان الكعبة
تكون يوم القيامة حوضا كوثر الله ولنا باشارات وقد رغبنا في التفكير والتفكير والتفكير
نذكر ما كشف لنا من اللوامع الدالة على ما ذكرناه ان الكوثر الى ان النفوس بهاشرة
الى الرب ولا تظن بعد هاتين هذه الفطرة فشا الديانات في الناس حتى لا تخلو
عنها امة وما يعبر عن هذا الشوق الروحاني غير العطش وكثر في الزبور رتبة التمثيل
فان صح ذلك فالموحون عند الحج لاشبه شي بالعطاش المتجمعين عند حوض
بعد مقاساة الظم الشديد فالكعبة لهم في الدنيا هي كالحوض الكوثر الذي يردونه في
الحجر. والثانية ان النبي صلى الله عليه وسلم شبه مساجدنا بالبحر كما روى
البحار في صحيحه قال عليه السلام «ارأيت لو ان نهر ابواب احدكم يغسل فيه
كل يوم خمسا» الحديث. فهذا تمثيل من جهة اخرى للماء فان الماء كما نراه في ذلك
هو ظهور. والاشك ان مورد صلواتنا هذا البيت الذي بكه فكان لاجد اول في كل
مكان يصلون فيه والثالثة ان كانت تعلن كثرة هذه الالة على الامم عند الكعبة
فكذلك يكون عند الحوض والاشي اول على كثرة هذه الالة من اجتماعهم في موضع
واحد وان هذا الاجتماع لاول على كثرتهم لعلم الناس بان هذه الجماعة انما هي قطرة
من بحر امة المتمد على بساط الارض فكما تتضخم زيادة هذه الالة على امم النبيين الآخرين
في القيامة عند اجتماعهم على الحوض فكذلك ترى كثرتهم حول الكعبة في الموسم .
فاسم الكوثر انظر مطابقة بها. والاربع ان النبي صلى الله عليه وسلم

أخبرنا يعرف الله على الكوض بآثار الوضوء فيه إشارة إلى أن الذين يردون
 هذا البيت بقلوبهم هم الذين يردون في الآخرة ذلك الكوض الذي هو حقيقة
 هذا البيت . والخامسة أن الله تعالى قد جعل استخلاص الكتبة ينوعا للكثرة فدخلوا
 في دين الله أفواجا بعد الحج الأكبر . والسادسة أن الله تعالى سمي مسجد مكة مباركا
 حيث قال [أن أول ميت وضع للناس للذي سبى مكة وبدرى للعيلين] و
 جعل الله لهذا البيت من البركة ما عم فيه جميع العرب بل جميع العالم كما وعد إبراهيم
 عليه السلام فظهرت بركة في اسمعيل أكثر من بركة اسحق كما مر في تفسير سورة الفيل
 ولا يخفى أن كل هذه البركات من هذا البيت ومن الصلوة والنحر والاماتة
 القرآن بالمبارك فمن جهة كونه كالطمر النازل من السماء فسماه مباركا كما سمي الطمر
 مباركا فكما أن المطري يحيي الأرض فكذلك القرآن يحيي القلوب فسميته القرآن
 بالمبارك لا تتجدد فيها ما تشبه بالكوض والبلاغة تنكر هذا التشبيه لعل مكانة القرآن
 وسعة التي لا نهاية لها . والسابعة أن هذه السورة نزلت يوم صلح الحديبية
 الذي فتح بلب الوصول إلى بيت الله والحج والصلوة والنحر وظهر الإسلام
 وكثرة حتى سماه الله فتحا مبينا . ونكلم على زمان نزولها في الفصل الرابع عشر
 بعض البسط ان شاء الله تعالى . والثامنة أن النبي صلى الله عليه وسلم
 أخبر عن موضع طرف من ذلك الكوض فإشارته إلى الباقي كما روى البخاري
 في صحيحه قال عليه السلام ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
 على حوضي ، فيستبط من ذلك أن هذه الأرض المباركة التي تتردد فيها الحجاج
 هي التي تصير حوض الكوثر الذي أخبر عنه منبه الكتبة وإلى هذا إشارته في قوله
 عليه الصلوة والسلام كما روى البخاري في صحيحه وهي الثامنة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم خرج لو ما فصل على أحد صلواته على الميت ثم انصرف

الى المنبر (اى منبره فى المسجد فقام خطيباً) فقال انى فرط لكم وانا شهيد عليكم وانى
والله لانتظر الى حوضي الآن وانى اعطيت مفاتيح خزائن الارض او مفاتيح الارض
وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها
الفرط من تقدم القوم الى الماء ليهتدى بهم الارسان والدلاء ويألفهم الحوض ويشهد
عليكم اى يعرفهم ويشهد على كونهم من امته فيكون ذلك شفاعة لهم . هذا بيان ما يقع فى
الآخرة ثم اشار الى ان ظاهر ذلك الحوض بين يديه فان منبره على حوضه
كأمر آتفا وما ذكر من اعطاء مفاتيح الارض فذلك ما انجزه الله تعالى فان فتح مكة
كان مفتاح الفتح الارض وخزائنها والعاشية انه عليه الصلوات اجران طول
حوضه ما بين مكة والمدينة فاشارة لطيفة الى المطابقة التى بين ارض الحرم وحوضه
فان قيل فهنا ذكر ما اراد بالتصريح قلنا انما اختار به الاسم لكثرة دلالة ولتفكر
فدل على كثرة الامة وفتح مكة وكثرة اجتماعهم فى الحج وفى الموقف على حوضه . واما
ذكرنا هذه الامارات تمهيداً وتأييداً للمادل عليه نظم الآيات كما سيتضح لك
انشاء الله تعالى بهذا تمهيد التبرنى بباة الحوض الكوثر يد لنا على ما ذكرنا من كون
الكوثر الاخر وى صورة روحانية للكعبة وما حولها . ونذكر ذلك فى الفصل الآتى .

(النهر الكوثر صورة لروحانية الكعبة وما حولها من متردد الحاجج)

٤- من تأمل فى صفة النهر الكوثر الذى كشف للنبي صلى الله عليه وسلم حين
خرج به بحبه مثالا روحانيا للكعبة وما حولها وذلك لما روى من طرق كثيرة من
ان الكوثر نهر على حافة قباب الدار الجوف وارضه يا قوت ومرجان ووبرجد
وفيه آنية مثل نجوم السماء وماؤه ابيض من اللبن واحلى من العسل
وابر من الثلج ، وتربته اطيب من المسك ، ترويه طيور اعناقها كاعناق الجربز .

قال رجل اهنأ نعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها وخير ماوه مثلما يسمع احدكم اذا ادخل اصبعه في اذنيه . وحصل لنا هذا الوصف بجمع الروايات ولفظ البخاري . قال مينا انا اسير في الجنة اذا انا بخر حافاه قباب الدر الجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكثر الذي اعطاك ربك قال ف ضرب الملك يده فاذا طينه سك اذ فرء فقف ههنا وتامل الكعبة وما حولها حين ترد عليها الموحدون من اقطار الارض يطنون غليل شو قهم الى ربهم اليست حصباء بطحاءها عند حرم الرودح اكرم وابهى من الياقوت والزبرجد وترا بها الطيب من السك وقباب الحجاج خولها احسن من الدر . ثم تامل مع ورود الحجاج ورود البدن كالطيور على الماء وذلك اسعد حال لهن فانهن يقربن الى الله نياتهن عن الان كنهن من الان فما اعظم فوزهن . ثم تامل آكلين خيوف الله الساعين المتبعين وتامل كيف اشار بتشبيه الطيور الواردات بالبدن وذكر آكلها الى ان البدن هي الطيور وكيف جعل الاشارة لطيفة تشبه اعناق الطيور باعناق البدن ليدل الجزء على الكل وكيف جانب لفظ البدن وذكر الجزء وحده ذلك ليحث العقول السليمة على الاستنباط كما يذكر الله الدلائل في القرآن ويتبها بمثل قوله [ان في ذلك آيات لقوم يعقلون] " ويعلمون " " ويفكرون " ، والبنى احسن المعلمين فكان يربى العقول ويعلمهم الحكمة . وكان ربها لاصحابه عن مناسبات الامور كما سأل عن مثل المؤمن في الاشجار وكذا لك كان عيسى يضرب لهم الامثال فلو لم لا يصرح القول فاجابهم فيها الا ان الله في القرآن [وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون] وجملة الكلام ان الاشارة محلا وحكمة في التعليم والترمية . ذلك .

(نظیر ذلک ماجاء من روحانیہ ارشلیم)

« - ویشبه ذلک ماجاء فی مکاشفات یوحنا ص ۱۱ » وذهب بی الروح الی
 جبل عظیم عال دارانی المدینة العظيمة اورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند
 لها مجد الله (ای علیها نور من الله) ولما نبها شبه اکرم حجر کجیشب بلوری (ثم
 ذکر سورها و مساقبها و ابوابها و سکا بنها من اسباط اسرائیل ثم قال) کان بنا سويا
 من لیشب و المدینة ذهب نقی شبه زجاج نقی و اساسات سور المدینة مزینة
 بکل حجر کریم . الاساس الاول لیشب الثانی یاقوت ازرق . الثالث
 عقیق ابیض . الرابع زمرد زبانی . الخامس جزع عقیقی . السادس عقیق
 احمر . السابع زبرجد . الثامن زمرد سلفی . التاسع یاقوت اصفر . العاشر
 عقیق اخضر . الحادی عشر اسمانجونی . الثانی عشر جمشت . و الاثناعشر بابا اثنا عشر
 لؤلؤة کل واحد من الابواب کان من لؤلؤة واحدة . و سوق المدینة ذهب
 نقی کزجاج شفاف » ثم ذکر انه لیس فیها بیکل دلیعہ دن الله و حدہ و لا
 آس من بعض التحریف و الزیادة فیما نقلوا و انما المقصود ان المثال الروحانی
 لما فی الدنیاس اللاحیان و الاعراض امر معروف معلوم . و قد الوصف
 الذی ذکره یوحنا یکتف ماتحہ الباصرة فقط و ماجاء فی وصف روحانیة الکبیرة
 فقد جمع اوصافا لکل حاسته حتی السمع بما ذکر من خیر ما و یأخریر الماء من
 البعید لاشبهی و اعلى للعطشان . ثم الماء الحلو البارد اقرب تادیه لما لطفی
 شوق الموحدين المخلصین العطاش البیاع مد . و عنهم اخبر المسیح علیه السلام
 بقوله « طوبی للبیاع و العطاش لانهم یشبعون »

(تأويل قوله تعالى انا اعطيتك الكوثر)

٨ - بعد ما فهمنا دلالة كلمة الكوثر انما تعني الآية الادلى وهو انها اخبار عما اعطاه الله تعالى من البركة وكثرة الامة واخبر به حين دنا انجازه في الدنيا لكي يشر النبي ثم المسلمين بظهور الاسلام وانتشاره في البلاد وافتح مكة التي اعطاك الله اتمه عطية من المصلين المتقين يحجون بيت الله الحرام كما قال تعالى [واذ بوثنا لبراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والماكين والركع السجود] (اى المصلين) واذن في الناس باحج يا توكل رجالا وعلى كل ضامريتين من كل فج عميق :- (اى يا توكل الزيادة البيت من القرب رجالا ومن البعد تقصير الركاب ومن اقطار الارض فيدخلك من كل فج وكثرة السالكين تصير الفجاج عميقة) يشهد وانما نفع لهم (اى تصير هذه البلدة مشابة بهم فيفتخرون بالتجارة ويخالط بعضهم بعضا آمنين فيصلح باهم ويصلوا ارحامهم وكانت سنة اخطيب في العرفات ان يخشع على الصلح وصلة الرحم ولذا لك سمو امة صلاح دام الرحم فما اكبر نفع ذلك في معاشهم) وذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام (وهذه منفعة دينية نفع شرهم لم يتركوا ربههم وانما اتخذوا اليه شفعاء) فكفوا عنها والطعوا بالبائس الفقير فعين ان هذا البيت جعل مركز التوحيد والصلوة والطعام الفقراء لامة كثيرة يحجون من جميع البلاد وقد كان ابراهيم عليه السلام دعا الله ان يعيث نبيا لهذه الامة لكثيرة وقد استجاب الله دعوته وقد وعده الله تعالى كثرته في ذريته لاسيما في ذرية من اسمعيل كما جاء في التوراة واعترف بذلك اهل الكتاب وقد ذكر الله تعالى هذا العطاء في اواخر البقرة في سورة الضحى بقوله [ولستوفى ركبك فترضى] فهذا الوعد الذي ذكرنا اقترابه جعله مقضيا بقوله [انا اعطيتك]

وفسر معنى [فترضى] بكلمة الكوثرة فان النبى صلى الله عليه وسلم لغاية رأفة وحرصه على الهداية لا يرضى بالتقليل اذ بان يعطيه الكثير فى الدنيا فيدخلون فى دين الله أفواجا ثم يسلبه اياهم فى الآخرة حتى يقولوا على عوضه فاذا ح كل شبهة بكلمة ترضى والكثرة وقد كثرت الاحاديث الصحاح بكثرة امته . فهذه الآية الادلى بشارة عظيمة من وجوه . من قرب الفتح ، وقرب دخول الناس الكثيرين فى امته ، وبقاء جماعة كثيرة منهم على الدين الحق على رغم من يزعم بركة الكثرة الامته . ذلك وتمامك بشارة عن قريب انشاء الله تعالى فان السورة كلها بشارات ولد الحمد فى الآخرة والاولى -

(تاويل قوله تعالى "فصل لربك وانحر" وبيان ربطهما قبله)

٩- هذه الآية تدل على اربعة امور الاول ان الصلوة والنحر لهما ربط بهذه العطاء لما صدر الامر بالغاء والثانى ان فى الآية امرًا ويجابا بهما عموما على سبيل الافراد وخصوصا بهما وذلك فى الحج . والثالث ان بين الصلوة والنحر ربطا خاصا والرابع اختصاصا بهذه العطية والامر بالصلوة والنحر معا ويهتدى ذلك الى اننا على سنة ابراهيم ودون المشركين ومبتدعى اليهود والنصارى لان المشركين لم يكن صلواتهم ونحرهم للرب خالصا . ومبتدعة اليهود لم يكن لهم غير القرابين وان قرابينهم لا تسمى نحرًا فان النحر مخصوص بالابل وهو حرام عليهم . ومبتدعة النصارى ليس لهم قربان اصلا والصلوة غير واجبة عليهم بزعيمهم . فهذه جملة الكلام ولا بد لها من بعض التفصيل ونأتى به فى عدة فصول اما الامر الاول والثانى فتجد بهما فى هذا الفصل سياطيك الباقين فيما بعد . فاعلم ان الله تعالى بعد ما بشر النبى والمسلمين بهذه العطية عقب البشارة امرن الصلوة والنحر . والتعقيب يدل على نية

وربط بين السابق والتالى اى العطية والامر قل تدبرنا فإدله عليه نظم الكلام لظهرنا
 بعض وجوه الربط بتوفيق الله تعالى فتذكرها بالحمد لله تعالى . الا اول ان هذا الامر
 يتضمن بيان مقصد هذا العطاء . فان هذا العطاء كان لمقصد عظيم كما قال تعالى [الذين
 ان مكمنهم فى الارض اتقوا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر]
 وكما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام [ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي
 زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم]
 اى يأتون اليهم بحج بيتك . فعلنا ان حجرة ابراهيم وسكنه فى واد قفر وارض
 عاقر لم تكن الا لاقائه مركز لعبادة الله الواحد توجوهون نحوه وياتون اليه من البعد
 يطمنون ويسعون ويقدمون اليه الهدايا كالعبيد يسمعون على باب مولاهم الذى
 دعاهم فاسرعوا اليه قائلين " لبيك لبيك لا شريك لك لبيك " ثم يسمعون با
 امر الرب ونهى عنه على لسان امامهم . ولذلك قال تعالى [واذن فى الناس
 بالحج ياتوك] اى ياتوا اليك لاستماع الحكمة . فان الله تعالى جعله امام الناس
 كما جعل ذلك البلد مشاة وبركة وهدى لهم فكان يقرهم ويقوم فيهم خطيبا . وبكذا اقرب النبى
 عشرته حين قام بيثته ودعاهم الى الرب . وقد استمرت سنة الخطبة بعد ابراهيم
 مع سائر سنن الحج كما مر فى تفسير سورة البلد . ثم يطمعون الناس بما ساقوا من الهدايا
 دياكون منها تاركين بان تقبل الرب هدايا عبده ثم اعطاهم ما قربوا اليه . فقتل
 ان هذا البيت : انما وضع لمقاصد عظيمة بها اعطاهم التكمين فى الارض وان منظمها
 الصلوة والخرف ذكرها بعد ذكر اعطائه ليعلموا ان هذا العطاء له حق وعناية . ليقوموا بحقه ويتوا
 ما لاجله اعطوه . وذلك مبنى على وجوب انفاذ الحقوق . فان لكل عطاء حلالا بدان لوفى
 فى به كما قال تعالى [ليلبدكم فيما أنتم] وايضا [احسن كما احسن الله اليك] وايضا [و
 آتوا حقه يوم حسابه] الثانى انه تعالى عقب ذكر العطية ذكر ما به يقاوم بانفاذها بالصلوة

والنحر امرأه فان هذه العظيمة كانت للنبي وامته عات فان النبي وكل امته فما اعطاه
اعطى امته ولذلك قال عليه السلام انا فرط لكم على الكوض كما مر فذلك الامر بالصلوة
والنحر عام وبوظاهره فلما ربط عبادة بطيئة علنا ان الالتثال به ليضمن بقاء نعمته وقال
تعالى [ان الله ليغير ما تقوم حتى يغيره] واما يا نفسهم [وذا الذي امرنا به هو الحج ومناسكه
كما هو ظاهر فكانه تعالى قال انا اعطيناك الكوثر فاذهب فيبقى لك هذا العطاؤه وسواء اتخذ
الصلوة والنحر بمجوعهما وبانفردهما كان المراد هو الحج - فان الحج من الصلوة لما جاء
في الحديث ولما دل عليه اعمال الحج وقد علمنا ان مقصد البيت الصلوة ولذلك
بنى كما مر فمن لم يحج وقد امكنه لم يتم مقصده - وكذلك النحر فان من ضحى في غير الحج
ترك اعظم الاضاحي والذي يضحى في غير الحج فانما هو متشبّه بالحجاج وهو يريد ويتنظر
ان يجد سبيلا فيحقق ما يريد - فبأي وجه اخذت دلت الآية على ان الحج يلزم الامة
فمن استغنى عنه اخرج نفسه عنهم - وهذا يتضح من النظر في حقيقة الحج وقد صرح بذلك
القرآن والسنة قال تعالى [ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين] فذلك تصريح بكفر من استغنى عن
الحج وان الله تعالى لا يبالي به - والثالث انه يتضمن تلبية النبي والمسلمين
كانه قيل له انهم اخرجوك ومنعوك عن الصلوة والنحر فالآن بعد ما اعطيناك الكوثر
لا مانع لك فاعملها بفرغ بالكل وبقدر شوقك بالكثرة والنحر وبجاءة عظيمة حتى تحقق
معنى الكوثر - وقد علمنا شوق النبي والمسلمين الى الحج والصلوة والنسك والامر
بعل مرغوب مع كونه امرا يتضمن التبشير والتسليّة والظهار للرأفة - والرابع
انه بيان عهدنا بالله تعالى جعل الامر بالصلوة والنحر مرتبا على علية فانا قبلنا العظيمة
او جدنا على انفسنا ما امرنا به وسمي ما بقينا على طاعة امره بقينا ما اعطانا - فنصار
اخذ العظيمة عهدا بالله كما اعطى الله آدم وحواء عليها السلام - المسكن في الجنة بل كلا

منها رعدا ولا يقربا شجرة خاصة عرفها لها فلما اخذ الحطية وجب عليها عهد الله .
 لذلك قال تعالى [ولقد عهدنا الى آدم من قبل نفسه ولم نجد له عزما] وكذلك
 بقي لها ما اعطاها الله ما بقيا على عهده . وكذلك نرى في قصة ابراهيم كما قال تعالى
 [واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمت فاقمهن قال اني نجلك للناس اما قال ومن
 ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين] فبعد ما امتثل ابراهيم باوامر ربه تعالى جعل له
 ربه عهدا وبذاهب يقي لذريته ما داموا قائلين به واما الظالمون فيحرمونه . والخامس
 انه بيان عهد التوحيد وقد صرح القرآن بذلك العهد وصرح باولته كثيرا . وجماعها
 كونه ربانها وقد اخذنا عطايها من الخلق وحن التقويم والرزق الطيب وبذاعام
 وبنها ذكر نعمة عظيمة خاصة فذكر ما اودحيت هذه النعمة علينا من التوحيد في صورة خاصة
 تناسب الحطية الخاصة فان الله تعالى هو الذي اعطانا هذا البيت فلا بد ان يكون
 الصلوة والنحر . وتفي ذلك ايضا تعريض على الخائفين الظالمين . وبهذا يظهر
 من النظر في كلمة [انا] و [لربك] اي انا الذي اعطيناك فلا بد لك
 ان تفعل ما فعل المشركون وصرح بهذا المفهوم في
 سورة الحج مرارا فلا حاجة الى ايراده ههنا . وبهذا نرى الآية محمد بن كعب
 القرظي حيث قال « اننا ساكنوا يصلون لغير الله ونحرون لغير الله فاذا اعطينا
 الكوثر يا محمد فلا تكن صلواتك ونحرك الاله »

(وجوه المناسبة بين الصلوة والنحر)

١- اعلم ان الصلوة والنحر وجوب كثيرة ولنا القرآن عليها كلها ولا حاجة الى استقصاء الوجوه
 ههنا وتجدي بان في كتاب المفردات واما تذكر الان منها ما يدل على المناسبة
 بينها . وهذه الوجوه وان لم يصرح بها القرآن فانها لا تخفى على من تدبر في آية ونظم

كلماته انه بعد ذلك لا يستطيع ونها عن قلبه وكيف يصرف نفسه عن التأمل في آياته
من اليقين بحسن نظامه وقرع سمعه قوله تعالى [افلا يتدبرون القرآن ام على قلوبهم قفلاً]
والمقصود ان مجرد ربط الصلوة بالتحريشنا الى التدبر في وجه المناسبة بينهما وذلك
يطلعنا على حقائق عظيمة ونحن ذاكرون هذه الوجوه لا مجرد بيان حسن النظم بل ايضا للكشف
عن تلك الحقائق العظيمة حتى يتضح بعد النظر فيها ان السور القصار بنيت على معطيات
الامور فلفظ صغرن من جهة اللفظ فانهما كبيران من جهة المعنى . والآن لنشرع بعون الله
في ذكر وجوه المناسبة بين الصلوة والنحر .

قالوجه الاول ان المناسبة بينهما نشأ من المناسبة التي بين الايمان والاسلام
وبيان ذلك يقتضي تهبيدنا علم ان الدين مبني على صحة العلم والتعلل فاعلم ان نعريف
ربنا ونسبنا اليه ولا نذبل عن هذا العلم ويزمنا حالة قلبية من المحبة والشكر وتفيض الى
الاعمال فاعلم متصل بالعلم اتصال الاثر بالموثر والظاهر بالباطن فاعلم من باب الايمان
والعمل من باب الاسلام . ثم اعلم ان العمل كما يقابل العلم فكذلك يقابل القول
فالقول وسط بينهما وهو اول ظهور الارادة وتحقيق العمل . وبعد هذا التهبيد النظر الى ربط
الصلوة والنحر اما **الصلوة** فلا يخفى انها قول وقرار وجميع اوضاعها من القيام
والسجود والركوع والسجود ورفع اليدين والاصبع اتوال بلسان الاوضاع فهي
اول خطوة بعد الايمان وبها يفتح باب الاعمال ولذلك قدمت على جميع الشرائع
كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى [الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة]
وبسطناه في تفسير سورة الفاتحة . وقد بينا ذلك في قصة ابراهيم حيث ذكر
انه لما عرف ربه بالتوحيد قال [اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خفيّاً
وما انا من المشركين] والصلوة تتحقق بهذا التوجه الاتري انك تفتح صنوتك بهذا
القول . وكذلك ترى في قصته موسى كيف امره الله تعالى بعد اعطائه مائدة التوحيد

حيث جاء [فلما انتهوا نودي يا موسى اني انا ربك فاطلع فليكن ايمك يا داود المقدس
طوي، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى، اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلوة لك
وشل ذلك قال تعالى بعد ابطال الشرك [فاقم وجهك للدين خفيضا قطرت الله التى
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون.
منيبين اليه واتقوه واتموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين] فاصلوة نظرة الخلق فات
كلها ولذلك قال تعالى [تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن، وان من شئ
الا يسبح بحمده] وقال تعالى [الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير
ضطت، كل قد علم صلوة وتسبيح] فالصلوة من جميع الاعمال اس بالايان واول
فيض منه وكلها جامع التوحيد والامانة والشكر والتوكل والتبئيل الى الرب
وانها نظرة لجميع الخلق. واما النص فهو جامع معنى الاسلام فان الاسلام
هو الطاعة وادعان النفس لربها وتسليم كليتها لولاه وبها ايضا نظرة البصايا لصلوة
فان الخلق لم يخلق الا باذنه لا مريد به. امره بكن فكان واستجاب لدعوته
به خلقة فان عصي بعد ذلك ناقض فطرته فالاسلام من بذه الهية احاط بجميع الخلق
كما قال تعالى [وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه تحشرون]
اي استجبتم دعوته فى اول خلقكم وكذلك تسبيحونها فى الآخرة فتشرون اليه كما
قال تعالى [فاذا دُعواكم دعوة من الارض اذا اتمتم تشرون] وقال تعالى [وتبين
بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فالاسلام للرب والتسبيح والسجدة والصلوة
لذلكها فطرته وفى غاية الاتصال. واذ جعل الله تعالى ابراهيم اماما ومجده قبلتنا و
بيد سنتنا ولنا على حقيقة النحر ايضا بقصة كادنا بها على حقيقة الصلوة فذكر تعالى [قال
انى ذاهب الى ربى سيهدين] اى انى مهاجر الى ربى سيهدينى هراطه)
رب يهب لى من الصالحين (اى ذرية صالحة لنسلك بهم فبين للناس سنن الهدى)

فبشره بنظم عليم (ای اسمعیل و انما سبى اسمعیل ای سمع الله لما انه كان جوابا لدعوة) فلما بلغ منه السی قال یثی انی ارى فی المنام انی اذبحک (ای اذبحک لله) فانظر ماذا ترى (انما سألہ لکی یشکر فی الطاعة فان مقصود ابراهيم کان ضرب طریق واثابة سنة وقد علم من اجابة دعوتہ انه یکن عاقلا فاین مخالفة) قال یا ابت افعل ما تو امر سبحانه ان شاء الله من الصبرین. (فقبهم اسمعیل من قول ایه انه لم یکن لیکم الا بالمر و اجاب جواب المتوکلین) فلما اسلما وتلا لیلین. (ای لما عتقا بذلك کمال اسلامهما اما الولد فلانه اسلم ما کان احب الیه من نفسه واما الولد فلم یکن له الانفسه) وناذیه ان یا ابراهيم قد صدقت الرؤیا انا کذلک نخبرمى المحنین. ان بذلوا البلاء المبین (فبلغا بذلك درجة الاحسان وهو کمال الاسلام و صاروا بهذه البلاء المبین اما ین تأتم الهداة بها) و فدیته بذبح عظیم [ای فدینا الغلام بذبح عظیم و هو اقامه سنة التقویة و مغفرة المضحین بها فیتق الله ان یهذه القصة ان الاسلام اصله الطاعة و تسلیم احب ما عنده للمولی حتى النفس. و لا یكون ذلک الاتجام الا یمان و الاخلاص. و کمالها الاحسان. و هو ان تعبد الله کانک تراه، فنین ما قد منا ان ربط النحر بالصلوة کرابط الاسلام بالایمان او کرابط القول بالعمل و ان الاحسان یمجمها.

والموجه الثاني ان النسبة بین الصلوة و النحر کالنسبة بین الحیوة و الموت و بیان ذلک ان الصلوة سر بما ذکر الرب بقوله تنالی [و اتم الصلوة لذكری] ایضا [ذکر اسم ربه فصلی] و هذا کثیر و المطلوب دوام الذکر لقوله تعالی [یذکرون الله قیاما و قعودا و علی جنوبهم] ایضا [یا ایها الذین آمنوا اذکروا الله ذکر کثیرا و سبحوه کبرته و اصیما. هو الذی یصلی علیکم و ملأته لیسخر حکم من الظلمت الی النور و کان بالمؤمنین رھیما] ای کما انتم تذکرون الله و تسبحونه کذلک هو

يصلى عليكم وملكته وذكلك يزيد نوركم كما قال [فاذكروني اذكركم] ايضا [قالذين
غذى بكم يسبحون له بالليل والنهار ويحم لا يثمنون] ولهذا السر من ساعاتنا بالصلوة و
لم يبرخص عنها في حالة فظهر ان الصلوة كالتنفس لا بد منها فذكر الرب تبقى الحيوة المعبر عنها
بالنور والسكينة والايمان. وذلك ظاهر عقلا فان توجه الرب ونظر الله الى العباد
بعد ما اعطاهم العقل والتمييز لا يكون الا بان يتوجهوا اليه فانه يزيد النعم بالشكر واستعمال
ما اعطى كما قال [والذين اتهدوا زادهم بهي] والتوجه اليه يكون بذكر اسمه فيقولون
اليه بهذا السبيل فانه لا معنى للقرب والبعد منه تعالى الا ذكره وانقطعت عنه اعادنا الله
منها فاذا ذكره اربهم اقربوا منه كما قال تعالى [واسجدوا] فحينئذ توجه اليهم نظر
رحمة واشرق عليهم نور قدسه والروح انما يشرب وينصبع بالذكر والفكر فبدوام
الغماسه في ذكره يرتفع عليه حيوة وقوة منه. وعن ذلك اخبرنا النبي عليه الصلوة
كما روى البخاري «ما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى اجبته فاذا اجبته كنت
سمعه الذي به يسبح ولبصره الذي به يبصر ويده التي به يمسك ، وما هذا الا بيان الحيوة
الروحانية التي هي الحيوة الحقيقية العليا فلما ان الصلوة هي عين الحيوة وسلم النجاة
من هذه الحيوة السفلى. واما النحر فحقيقته تسليم النفس لربها كما دلت عليه قصة
ابراهيم واسماعيل وجعل التضحية تذكارا لتلك القصة والبلاء المبين الذي ابتلى
به الرب خليله. والمؤمنون يحققون ذلك التسليم بارتقاء مجهم في سبيل الله
فكما ان الصلوة جوتنا بالرب فكذلك النحر موتنا له وذلك هو الدين والاسلام
كما قال تعالى [قل انني بداني ربي الى صراط مستقيم. دنيا قيامه ابراهيم حنيفا .
وما كان من المشركين. قل ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين]
النسك في هذه الآية هو الذبح في الحج والعمرة باتفاق المفسرين وكذلك
هو في لغة العرب فباضم الصلوة بالنسك واتبعها بالحيوة والموت دل بظم الكلام

على سريته والنسبة بينهما على اسلوب التواطؤ فالصلوة هي الميالى لم ونسكه هو ما ترفى
سبيل رب ثم يمتدح ان فان هذا الموت هو باب الحياة وذلك قال تعالى [ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله امواتا بل احياء ولكن لا تشعرون]

والوجه الثالث ان الصلوة والنحر جانبان للخروج الحقيقي وبيان ذلك ان
الله تعالى لما خلق الانسان ذاعقل وارادة حاكما بحسن والقبح رفعه على رتبة
ومع ذلك اقامه على شفاخرة كما قال تعالى [لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
ثم ردناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون]
ايضا [ونفس وما سواها فاليها فوجوا وتوابعها فادخل من زكيتها وقد خاب
من دسها] وذلك لان العبد اذا قطع النظر عن منعه واستغنى عن ربه حجب
عن نوره ورائته الباطل المزخرف واتباع مراد نفسه وصار ابوى الهه . كما
قال تعالى [ان من اتخذ الهه هواه داضله الله على علم (اى بعد ان اعطاه العقل
والسمع والبصر كما قال [انا خلقنا الانسان من نطفة اشراج فقلبه فجله سميعا بصيرا] اما
بهذه السبيل اما شاكر او اما كفورا] اى ان لم يستعمل ما اعطاه الرب كان كفورا)
وختم على سمعه وبصره وجعل على قلبه غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون]
اى بعد ان اعرض عن ربه اطاع نفسه فصرفته الى شهواتها وصارت حجابا
على قلبه كما قال تعالى [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم
يؤمنون] اى كما حجوا عنه في الدنيا فكذلك يحجون عنه في الآخرة والعبد يرجع
الى ما صمم اليه فاذا تعبد والنفس صارت هى مولاهم فيرجعون الى حقيقتها فقال
ثم انهم لصالوا الحليم [فلما كان الانسان على هذه الحالة لزمه ان يكسبه هذا الصنم و
لما كان يولى النفس ذاهبين سببية وبهيمية لزمنا ان نكسبه كلتا جناحيها فهدانا
لا نهايتها بيمين ذبح السبعية وذبح الهمية . اما الاول فباختراع الله والذليل

بين يديه وجامعة الصلوة فان بها يقع راس الكبر لان الخشوع من اعظم حجات
 الصلوة كما قال تعالى [قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوهم خشون] وايضا
 [واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال و
 لا يحسن من الغطين . ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدونه وله
 يسجدون] وايضا [وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذ غاب عنهم
 الجبابرون قالوا اسما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما] انظر كيف قدم ذكر التواضع
 على صلوهم فان الصلوة تزكية النفس عن كبرها ولا يخفى ان من كان دائم الذكر
 لربه وكبريائه ورحمته غشيت التواضع والرحمة وشمل هذا النظم ترمي في قوله تعالى [محمد رسول
 الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا] وانما يذكر صفته
 الشدة ههنا لابطال الربانية فان المحب لربه كما يعطيه ويكبره فكذلك يكون حبه لذلك
 الامر فلا يلبس بين خالفه ويجاهره به على رغم المعاندين فلم يقدم الشدة الا لدفع توهم فان
 الآتية في صفة قوم على غاية الاعتدال وكانت هذه الآية في خصائصهم حبا جاء
 في التوراة والتأجيل فقدم ما يمتدحون به عن اصحاب موسى وعيسى عليهم السلام
 وبذلك ايضا نبه على كمال فضيلة العدل والاعتدال والجمع بين الضدين ولا فضيلة فوقه
 فلم يذكر الشدة الا لتأكيد التصحيح صفة التواضع والرحمة الناشئة من الخشوع للرب
 فان خوف الرب والتواضع له ينبغي كل خوف سواء كما قال تعالى [فلا تخافوهم و
 خافون] وايضا [فلا تخفونهم واخلشون] وفي ذلك آيات كثيرة واما الشدة
 فبالتردد عما تلهيه النفس وتجب في هذه الحيوة الدنيوية ولذلك مثلث مدارج
 الآدلى بذل النفس في سبيل الرب واكبر منه ذبح فلفة الكبد ولذلك ابتلى
 ابراهيم بذبح بكره واحب اولاده وهو اسمعيل عليه السلام فانه لما بشر باسحق
 قال « يهيئ اسمعيل » قولنا منصحا عن غاية جهله . والثانية تحمل المشاق والاذى في

طاعة الرب وترك اللذائذ فان ذلك احب الى النفس بعد الحيوة ومن هذا الباب الصوم وهذه الدرجة الثانية نهاية الضغاء ومن باب النحر ولذلك حين سئل المسيح عليه السلام عن اكبر الدرجات فقال لا يحصل ذلك الا بالصلوة والصوم. والثالثة بذل المال الذي هو منقول الملاذ. والزكاة من هذا الباب فاما الاتفاق في سبيل الخير بما يزيد على الزكاة المفروضة فيه ايضا بطل آلة الكبر. ولما كان المقصود من ذبح الهيئته نظام النفس عما يعيده للذلة لزمه ان يكون ما تجبه النفس فذلك قال شيخنا [لن تناولوا البر حتى تنفقوا اما تجبون] وكذا امر تبين الاضاحي وبين حقيقة ذلك حين اتى ابراهيم ذبح احب خلق عنده. ولما كان بذل الهج هو كمال هذا الذبح جعل ابراهيم الدم امارته. فبين ما ذكرنا ان الصلوة والنحر طرقتان لذبح النفس والى ذلك يشير ما جاء في الحديث «قربان هذه الامة يدايتها وصلواتها» اى سبيل مجيهم وصلواتهم.

والوجه الرابع ان الصلوة والنحر تبين احدهما الآخر فالصلوة من وجه نحر والنحر صلوة. اما كون الصلوة نحرًا فمقتضى ما مر ان النفس كونه ذبح السبيته ثم هى ايضا تحمل النفس مشتقتها وتكهنها عن لذتها وترتها فذلك من ذبح الهيئته. واما كون النحر صلوة فمقتضى حقيقة النحر هى بذل النفس في سبيل الله ولا يخفى انه صلوة في صورة اخرى فان بذل الهيئته في سبيل الرب اقرار وتصديق بالايان ولذلك سمى شهادة و ايضا بوجاهة الخضوع والطاعة فخص او في طامن الصلوة اقرار بالتوحيد وخضوعا للرب. ثم جعل للفتية من الآداب ما يدل على كونها صلوة وذلك امور: الذبح بالمصلى وبكؤه بسم الله والله اكبر وتوجيه القربان والمقرب الى القبلة ورعاية القيام في البدن والسجود في الكباشش. وقراءة دعاء افتتاح الصلوة كما جاء في القرآن [انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين]

والیضا [ان صلواتی و نسکی و حیای و عافی مدرب اسلمین . لا شریک له] و قد
 بیننا القرآن علی ہذا الامر ف ذکر فی قصۃ تفتیح ابراہیم [فلما اسلم وتلد للیحین] ای توہبنا
 الی الرب ظاہرا و باطنا ثم جلد ساجد و کذلک ذکر فی امر النحر [والبہدن جلہنہا
 لکم من شعائر اللہ لکم فیہا خیر . فا ذکر و اسم اللہ علیہا صواف] ای قیاما کا تصویف
 فی الصلوۃ . و کذلک ذکر فی امر الزکوۃ الی ہی من ابواب التفتیح کا [و یوتون
 الزکوۃ و ہم رکعون] انہی یعطون بہیۃ تظہر خشوعہم لکن یعطی ریاء و سمعتہ و فخرہ .
والوجه الخامس ان الصلوۃ و النحر کلہما ذکر اللہ تعالیٰ اما الصلوۃ نظاہر بانہا
 للذکر کما جاء فی کثیر من الآیات مثلا [واقم الصلوۃ لذكری] ایضا [و ذکر اسم ربہ
 فصلی] . و اما کون النحر ذکرا فایضاً دل علیہ القرآن حیث قال [و یذکر و اسم اللہ
 علی ما رزقہم من بہیمۃ الانعام] و ایضاً [کذلک سخرنا لکم لتکبروا اللہ علی ما ہدکم]
 ای ہدکم الی دین التوحید و الاسلام . نکاتہ کرا اللہ بالتکبر فی الصلوۃ فکذلک
 عند النسک .

والوجه السادس ان کلہما شکر اما الصلوۃ فکونہا شکر ظاہر حتی عبر عنہا بہ
 کما قال تعالیٰ [فا ذکر و فی اذکر کم و اشکر و الی لا تشکرون] و معظم الصلوۃ قرأتہ سورۃ
 الفاتحہ و بناءً علی اشکر . و اما النحر فانما نعلم ان المدسجۃ و تعالیٰ غنی عن العالمین
 [و ہو یطعم و لا یطعم] و انما تقرب الیہ ما انعمنا بہ اعترافا بان ما عندنا ملک و نعمتہ و لذلک
 نقول عند التفتیح ” منک و لک “ و لذلک قال تعالیٰ [کذلک سخرنا لکم لتکبروا لکم تشکرون]
 و کما ان الصلوۃ بشکر عام علی جمیع نعم الظاہرۃ و الباطنۃ فکذلک الذبح لیس
 شکر علی ما رزقنا من المنافع الدنیویۃ بل علی ما ہدانا الی دین الاسلام و وثقنا
 بطاعتہ و لذلک قال [لتکبروا اللہ علی ما ہدکم]
والوجه السابع انہما کلہما من التقوی اما الصلوۃ فان العبد لا یرال بذکر و تعلق

به رجاؤه ودخوه والصلوة بهذا الذكر فيصرف العبد ويتشبع لما يني رضى ربه ويغافى سخطه
 والى هذا يشير قوله تعالى [وان اتقوا الصلوة واتقوه دبر الذي اليه تحشرون] وانما
 كون التقيّة من التقوى فذلك ان تسلط الانسان على البهائم اشبه شئ بالتعبيد
 فوجب ان يني هذا التوهم بالتخضع والاقرار بالعبودية وان النعمة والربوبية والملك
 لله تعالى وصفة التقوى جماع هذه الامور فصارت سر التضيعة فالعبد في الحقيقة يتقرب
 الى ربه بالتقوى ولذلك لا يقبل التضيعة الا بها كما قال تعالى في امر القرّبان [انما
 يتقبل الله من المتقين] وايضا في الكحل [وتزودوا فان خير الزاد التقوى] وانما
 سمي التقوى زادا لانها تبلغ منازل قرب الرب والتقريب للتقرب كما ذكره
 في الوجه الحادي عشر فلا بد فيه من زاد التقوى.

والوجه الثامن انها من منازل الآخرة فان الصلوة رجوع الى الله و
 صورة لوقوفنا بين يديه في المحشر فيها خلعة من المعاد فمن كان مصليا كان ذاكرا
 لرجوعه الى ربه وهذا نفهم من قوله تعالى [وانها] اي الصلوة لبيكة الالهة على الخشعين
 الذين يظنون انهم ملقوا ربهم وانهم اليه راجعون [فمن علم بانه راجع الى ربه ودخل
 عن علمه رجع اليه وتاب غشية هياة الخشوع والوقوف في الآخرة كما قال تعالى
 [قلوب يومئذ ابصارا خاشعة] وقال تعالى [قد اطلع المومنون الذين هم
 في صلواتهم خاشعون] وايضا [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام
 الصلوة وايتاء الزكاة يخافون بما تقلب فيهم القلوب والابصار] ويشبه
 قوله تعالى [ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى] ان الى ركب الرب
 (اي كيف يستغنى وهو محضر) ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى [ثم علنا
 القرآن اننا لننجيب دعوة الرب فنخرج من القبور حامدين لله كما قال تعالى
 [يوم يدعونكم فستجيبون بجمه وتظنون ان لبثتم الا قليلا] فيكلم المصلون يستمعون.

ودعوة الصلوة ويصفون لله حامدين . واما النحر فهو ايضا رجوعنا الى الله كما مر في الوجه الثاني
والثالث والآن ننظر اليه من وجه آخر وذلك ان اجسامنا سخرت لنا كما بهائم
فهي الركوب والرقى الى اجل مسمى ثم ترجع الى الرب فهي كما قال تعالى في امر البهائم
[لكن فيها منافع الى اجل مسمى ثم مرجعها الى البيت العتيق] وايضا كما نسوق البدن
الى ذلك البيت نسوق ابداننا اليه كما قال تعالى [واذن في الناس بالكج
ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق] وكما نحرم البهائم ونحبل لها
شعرا فكذا تلك نفعل باجسامنا وانما لا تخرج من امانتنا فانا نقديها بالبدن كما قدى اسمعيل بما
ذبح عوضا عنه ولكن الله تقبل بذية خليه باخذ اسمعيل خادما لبيته فكذا كذلك قدى اجسامنا
ولكن لا ترد الينا بل نأخذها امامته فنذبها ونهريق مجتهدنا في سبيل الله وقد نهى القرآن
على بذل السر حيث قال [ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة فياتون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حاق في التوراة والانجيل
والقرآن ومن ادنى بيده من الله فاستبشر واييكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم] فاشترانا الله بمجرة دية الاسلام ونحضر على باب بيته لتجديد ذلك بمس
حجر الاسود ونؤكد عهد ابراهيم واسماعيل وكوننا قرايين لله تعالى ثم جرت اجتماعنا في
الكج انظر تصوير لوتوفنا في المحشر فصلواتنا واجتماعنا لذكر الله والكج والنحر يشبه بعضنا
بعضا في نسبتها بالمعاد .

والوجه التاسع انها من ابواب الصبر . اما الصلوة فلان البعيد ادم عليها
مطئنا بوعد الله كفارس يقوم على غرسه لبيته ويجده فينظر ثمرة ويظهر رفايته الغافلين
فلا يبين ولا يكل بل لا يزال يقوم لربه ويجده ويشكره ولا يبالي باستهزاءهم برجائه
لنائب البعيد لكل ذلك لشدة غزوه وصبره على العاقبة ولهذا جهات جميع القرآن
الصبر والصلوة في آيات كثيرة كقوله تعالى [واستعينوا بالصبر والصلوة] ودل على

ما ذكرنا آنفا قوله تعالى [فاصبر على ما يقولون ورسبح محمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها ومن آتاء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى]، ولاتمن عينيك
الى ما تشاء به ازواجهم زهرة الحيوۃ الدنيا لغنتهم فيه ورزق ربك خير والبقى، وامن
ابك بالصلاة واصطبر عليها لانك ربك رزقا، نحن نرزقك. والعاقبة للتقوى
وايضاً [والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة] وايضاً [فاصبر ان وعد الله
حق واستغفر لذنبك ورسبح محمد ربك بالعتشى والابكار، ان الذين يكادون
فى آيات الله فيغير سلطان اشهم ان فى صدورهم الاكبر بهم بالنية فاستغفر بالله انه هو
السميع البصير] فبها على موضع الصبر من التمسك بالوعد والتوكل على الرب وتحمل
الاذى وانتظار الفلاح. واما الخرفه مبني على تعليم الصبر العظيم الذى ظهر من ابراهيم
عليه السلام فانه رضى بربه وفضلته ولم تيط ولد احتى كبر شتم لما اعطاه الله الولد وجلة قرة
عينه نظرة ولما ثل حسنة ابتلاه بذبحه فارتفعت قدم صبره بل شكر للرب لما طلب
منه احب خلق عنده. فصبرنا على الصلوة كصبرنا عند احتمال كل مصيبة. ودل على هذا
الربط بين الصلوة والصبر عند احتمال ما يتلى الله به عباده من الامانة النفس وما دونها
قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة، ان الله مع الصابرين] و
لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون. ولتبلونكم بنبى
من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات. وبشر
الصبرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون. اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة، واولئك هم الممتدون. ان الصفا والمروة (المروة
هى محل تقريب ابراهيم ابنه كابينه تحت هذه الآيت فى محلهما) من شأنا الله فمن
حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بها ومن تطوع خيراً فان الله
شاكراً عليم] فنجح فى هذا الكلام الصلوة والصبر والجهاد والمصابى وندبح

ابراهيم عليه السلام لما فيها من الربط المحقق .

والوجه العاشر اقرار الملك ، والتمتع به ، في الصلوة ظاهر فانه بنيت على اقرار الشكر والربوبية ، واما التضيعة فهي اقرار بذلك بلسان الحال كما نقول ان الملك والتمتع له تعالى نفوسنا و اموالنا كلها لله فلا بد ان نفوضها اليه ونخسبها لطاعته وناخذ منها على سبيل البتة منه تعالى فقربا حسانه ونفسها حيث امرنا ولا نشرك فيها احدا . فعبده . نصلي ونقدم اليه ما اعطانا فانه هو الخالق والواهب كما بدأنا نقول [اننا لله] انا اليه راجعون [اى نحن] واما ما نقله الحكم والمنته . وانا المتخضع . اشكر وآية نرجع كما يرجع الاموال الى مالك . ولذلك لا يكمل لنا التمتع بشئ حتى بانفسنا الا بذكر اسمه والاقراء بكونه عطية من الله . وتعلينا بهذا الاصل العظيم جعل علينا فريضة النكس لذكر اسمه على ما رزقنا من الانعام مسخرة لنا كما قال تعالى [وكل من ائتم بعلنا منكنا لذكر اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام] وايضا [كذلك سخرنا لكم لتكبروا الله على ما هدكم] ويكون التصرف في الحيوانات شبيها بتعبية هم فرض ذكر اسمه في الذبايح وكذلك كل ما اخرج لنا من الارض جعل فيه قايلا لنقل عنه . انه من نعم الله كما قال تعالى [كلوا من ثمره اذا اثمر واذنوه يوم حصاده] ولذلك حرم علينا الاسراف فان كل ما في ايدينا لربنا ولذلك جعل النكس مينا على سنة ابراهيم الذي شهد بكون الملك لله فادى الى الرب امانته وصدق بان كل ما عنده حتى نفسه وبيده فهو من الرب تعالى .

والوجه الحادي عشر ان العبة تقرب بها الى الرب . وذلك ظاهر جدا فان الصلوة من انظر امورها انها توجه الى الرب ورجوع الى حضرة فالمصلي يرى نفسه متمسكا بين يدي الرب ينجاه ويخلصه ويصرف اليه . لا يلتفت يمينا وشمالا فليس ان الصلوة ذريعة التقرب بل هي عين التقرب . وذلك على ذلك

قوله تعالى [واسجد واقترب] ولذلك صارت رأس العبادات . وتسمى
 ان الصلوة في اصل معناها القرينة القريبة والاقبال على الشيء والدخول فيه . يقال
 للفارس المتصل بالسابق المصلي والجالس حول النار يقربها الصالي وكذلك لمن
 دخل في حرب . وبهذا الامر في القربان فان المتقرب يأتي بقربانه الى موضع يرى
 ان الرب قدسه واقتضه لعبادته ولذلك كان للقربان موضع خاص . لا يحل في شريعة
 اليهود ان يقربوا في غير بيت المقدس اما المسلمون فكما جعلت لهم الارض كلها مسجداً فكذلك
 يحل لهم التغيث في كل مكان . ومع ذلك كما ان للصلوة في المسجد فضلاً فكذا
 فضلاً للنسك في المصلى . وقد جعل الله لقربان ابراهيم مكاناً خاصاً وانبأه لنا سنة
 فنهدي البدن الى المنحرف كما اننا في مسجده الذي بناه للصلوة وكل ذلك ليرسخ
 في قلوبنا اننا كالعبيد نسعى الى المولى بمتين دعوة مقربين قرابتنا كلها لمرضاة واطمئنان
 لعبودتنا له . ولذلك سمي القربان قرباناً كما سميت الصلوة صلوة . والى هذا
 الذي ذكرنا المارح فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سمعوا ضحاياكم فانها مطاياكم »
 وبذلك دل ايضا على ان تقرب الابل ما يخص بهم راجع الفصل الثاني .

والوجه الثاني عشر ان الصلوة والخرا عظم طرق العبادات وادائها
 وارسائها في فطرة الناس . فترى السجود والركوع وتقديم التذورات لاجلها والتعبد
 في كل مله ونحلة سواء عبدوا الله الواحد والهة متعددة او روحا وصفا او عظموا
 انسانا كآله معبود . لا شك ان بين الاقوام الملهتة والوثنية وبين اهل الحق والهدى
 الباطل فرقا عظيما وكذا لك بين صلواتهم ونسكهم بعد ان شاسا ولكن مع ذلك لكلهم
 نسكا وصلوة ما وهذا كما انهم مختلفون في مفهوم الآلهة مع اتفاقهم في امر عام من مفهوم
 المعبود ولا تسمى هذه الاتفاقية بينهم في سائر العبادات . وقد مر في الوجه الاول ان
 الايمان والاسلام لبيان جميع المخلوق وان الصلوة والنسك صورتان لما

فالآن ترى ان الناس انبثوا من نقطة واحدة في الدين والعبادة وانما تشعبت
بهم الطرق لدخول الظنون والاهواء فاختلوا بافراط وتقریط وانساد وتحليط .

(تفصيل لما ذكرنا من اختصاصنا بهذه العطاء والامر بالصلوة والنحر)

١١ - قد علمنا ان للصلوة تقدا على النحر فقد جاء على سائر العبادات ولذلك قد جها
الله في الذكر ومن تأمل فيما ذكرنا من وجوه المناسبة بينهما تبين ذلك وايضا تبين رفيع
محلها فلا حاجة الى اعادة ما سبق ولكن بقي لنا ما دل عليه اختصاصنا الكون في الامر بالصلوة
والنحر معا وذلك ثلاثة امور الاول فضيلة الملة على سائر الملل والثاني انحصار ثبوت
اليهود والنصارى في قبول هذه الملة والثالث كون المسلمين لا غيرهم ورثة ابراهيم
عليه السلام . واما بيان هذه الامور فاعلمنا ان ابراهيم كان هو طريق التقرب الى
الله في الاديان القديمة وكان بمنزلة الصلوة لهم والى هذا ما لى اليهود فلم يذكروا الصلوة اصلا
وذكروا الصوم بالكفاية فقط وذلك لان طرف العقل كان غير بالغ فيهم حتى يكفهم محض التوجه بالقلب .
فقد عظم الصلوة وجعلها في الدين دليل على عروج الديانة ولكن الطباع متفادية فطرة
حتى ان قوما ولو بلغوا ذروة الحكمة توجد فيهم افراد كثيرة على ابتداء المدايح فمع الزام
الصلوة وتكثيرها لم يطل الاسلام الذبح بالكعبة حتى انه لم يطل ايضا طرق الاثني
الذين جعلوا الديانة محض رهبانية فاقبوا الاسلام في الحج . فان صح ذلك رأيت
دين النصارى على طرف مقابل لليهود . فان لهم صلوة فقط ولا نسك . وليس لهم ان
يدعوا بلوغ كمال الديانة فان الكمال هو الوسط ولا خير في الغلو ولذلك تراهم اذ فهم
به الغلو حيف صاروا اسفل من اليهود ايضا في معظم امر الدين وهو الايمان كما ان
اليهود ادون منهم في الاعمال . فلهذه رعاية الوسط ووضع كل شئ محله ترى الصلوة اكثر
شئ ذكرنا في القرآن ولا تجد كلمة النحر الا في هذه السورة ولم يذكر النجاسة الا بتباني مواضع

معدودة. فجميع المدن الصلوة والتحر وبادل على سرهما وموضعها ومقدارها اعطائهم
 العلم المستدل به على فضيلة هذه الشريعة الجامعة على الملل السابقة. أما الشكون
 والملاحدة فلا صلوا له ولا قريوا. وأما النصارى واليهود فليس انهم حراما ركنا واحدا
 فقط بل انضى امرها الى تمام الحرمان لما انها لبقيا على ملك كانت لاجل معدود. وبيان
 ذلك ان دين النصارى كان دين التجرد والنحول واشتغال كل امرء
 بخصيصه. فلم يعطوا ايجادا وانفوا بالصلوة والصوم والزكوة واحر دابان يخفوا
 فتح كون ذلك اصلح تربيتهم لم يتبين فرائضهم وسننهم فانت حتى انهم ضيعوا كلها
 فاما امرهم هذه الاناجيل بصوم ولا صلوة بل يصرح بانها مستحبات فقط وخلاف
 ذلك تأمرهم بترك اقتداء الكسب والانتصار. واذ ضيعوا قسطا ما اعطوا [ونسوا
 خطا ما ذكرناه] فغشأت في مكانه بدعاتهم المتكاثرة فزعموا ان الشك انما رغب عنهم
 لان المسيح صار لهم قريبا وزعموا سببا وجداني شريعة اليهود ان لا يسبل
 الى كفارة ذنب من غير ابراق دم فزعموا بان المسيح كفر عنهم فزعموا احد الامرين
 وكلما اشتهع من الاخر. وذلك اما ان يقولوا بان المسيح كفر ايضا فزعموا انهم المستقبلة
 وقد ذهب اليه طائفة فزعموا ان الايمان بالمسيح يكفي للنجاة وذلك اشنع اجلاء
 واما ان يقولوا ان الذنوب المستقبلة لا مغفرة لها وقد ذهب اليه طائفة و
 اعتقد به امام هؤلاء النصارى بولوص وذلك اشنع بكثير من شناعة المعتزلة
 الذين غلوا في خلاف الازجاء. وذلك. واما اليهود فعندهم التصريح بامرين الاول
 ان لا مغفرة الا لضعفة والثاني ان الضعفة لا تصح الا في بيكلمهم وقد اخرجهم الله عن اديهم.
 فقد غلق عليهم شريعتهم باب التوبة غير ان يؤمنوا بالنبى الموعود الذى وكل
 رجاءهم اليه وعرفه لهم انبياءهم وقد حكى القرآن هذا الوعد الالهى عند ذكر تقصير
 اليهود عن تحمل الشريعة الكاملة واستغفار موسى لهم فقال تعالى [قال عذابي

اصيب به من اشاء، ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة و
الذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتقون الرسول الامي الذي يحذرون مكتبها
عندهم في التوراة والانجيل] وما ذكرنا يتبين لك ان هذه الآية الواحدة بكلماتها
الثلاث تدبر على جميع الاديان فان وضعت اليهودية والنصرانية في كفة وهذه الآية في
كفة أخرى لترجمت على اليهوديا ولها وعلى النصرانية بأخرها وعلى سائر الاديان بوسطها
لكون قرايتهم لغير الله ولا تكاثرهم بكون الله ربهم فانهم اتخذوا لهم اربابا دون الله
الا على الاكبر. ومع ذلك دلت بنظرها على احسن طريق للديانة والسلوك الى
الرب وهو ذكر الرب والتوجه اليه في كل حال وبكل صورة وعلى قدر يناسب الاعمال
والازمنة.

ولما ورث الدينيه واتباعه وراثته ابراهيم قطع عن هذه الوراثة الخاصة اليهود و
النصارى امرهم بما يخص هذه الامة من الصلوة والخمر. فان ابراهيم بنى سجدا
لانذبحا كما هو ظاهر وكما قال تعالى [طهرايتي للطائفين والعاكفين والركع السجود]
فالصلوة هي الغاية الاصلية. واما الخمر فجعلته مذكار الاسلام و اسلام ابنه
اسماعيل فجعل موضعه المروة التي قرب عليها ابنه ابكر ثم ابقاه سنته لاطعام
الحجاج لبيت الرب ومع ان عبادة اليهودية انخرت في الضيعة لم يجعلوها
الاعبادة ظاهرة خالية عن الحقائق والاشارات التي بها انما القرآن اليها و
ليس عندهم اثر ما لا قول ما يدل على ان ذبحهم تذكار لذبح اسحق ثم كتبهم
نفسه يطل دعواهم من وجه كما هو مبسوط في موضعه. ولما كان الامر بهذا
حسن اقتضت ركعة الخمر الذي يدل على ذبح الابل التي كانت محرمة على اليهود
خاصة وتفسير هذه البحت موكول الى تفسير سورة البقرة وآل عمران. فخر
الابل ليس فيه نصيب لليهود وهذه الضحية ابراهيمية مخصوصة باولاد اسماعيل هيت الله

الذي اسكن عنده هذه الذرية .

(في تاويل كلمتين "شأنك" و "الابر")

١٢- قبل تاويل الآيات الأخيرة ننظر في كلمتين شأنك والابر اما الشأن في فلكه منصفنا الى المسرة صار معرفة ولا يلزم المعرفة ان يكون معينا ولكن بعض المفسرين حاولوا التعيين واستبطوه من طريق النظر في اسباب الامور فاختلقت اقوالهم فيه كما يقع كثيرا في مثل ذلك فروى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد و قتادة انه العاص بن وائل وذلك لانه قال انا شافني محمد . وروى عن ثمر بن عتيبة انه عتبة بن ابي ميط لمانه كان يقول انه لا يبقى للنبي ولد وهو ابر . وروى عن ابن عباس وعكرمة ما يدل على ان المراد به قریش . فنقول ان هذا الاسم وان كان في نفس الامر ادلى برجل مخصوص وكان هو ادل داخل في مصداق الآيات ولكن اذ لم ير الدليل تفضيه بالتصريح سكتنا عن تعيينه . وهذا بفضل الرواية المعينة ولكن غير لازمة كما مر . ولا مشاحة ان اسلم الطرق ان نضع زمام الاستنباط في يد القرآن فتوجه حيث يقودنا نصه واقتضاه ونظمه وسياقه . وقد رأينا في السورة السابقة ان سميت الكلام الى قریش الذين كانوا اولياء بيت الرب وقد خانوا في امانتهم . ثم نجد الرواية المؤيدة لذلك اولتها . ثم ولت الحالات على كون قریش اولي بهذا الاسم . ثم ذلك هو مقتضى الكلام السابق حسبما بينا من تاويله . وبناء على ما ذكرنا من الوجه ينبغي ان يراد به اولاء بالذات قریش ثم يراد به كل من كان متصفا به . فان خصوصيات موقع النزول لا تمنع الكلام عن سعة مناه الذي دل عليه . فهذا القول في هذه الكلمة وسياقها لها مزيد بيان اذا شرعنا في تفسير الآيات ان شاء الله تعالى .

وَأَمَّا الْآيَةُ فَعَلِمَ أَنَّ صِفَةَ مِنَ الْبَرِّ هُوَ الْقَطْعُ وَالْكَلِمَةُ اسْتِمَالَاتُ شَيْءٍ وَالنَّظَرُ فِيهَا
يَعْنِيكَ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ هَهُنَا فَذَكَرَ اسْتِمَالَ هَذِهِ الْمَادَّةَ حَسْبَ
تَرْتِيبِ مَعَانِيهَا يُقَالُ سَمِعْتُ بَأْتَرَأَى قَالِحٌ وَتَبَارَقَ طَعَامٌ . بَرَّ فُلَانٌ رَحِمَها قَطْعُهَا بِالْأَيْتَرِ
بِتَطْلُعِ الرَّحِمِ . ابْتَرَّ الرَّجُلُ إِذَا أُعْطِيَ ثُمَّ مَنَعَ . الْبُحْبُوحَةُ الْبَرَاءَةُ الْفَاطِقَةُ . ثَنَى حَدِيثَ الضَّحِيَّا
أَنَّهُ نَبِيٌّ عَنِ الْمُبْتَوْرَةِ وَهِيَ مَا قُطِعَ ذَنْبُهَا . الْآيَةُ مِنَ الْكِيَمَاتِ لَوْعٍ مَهْنًا قَصِيرَ الذَّنْبِ .
الْآيَةُ مِنَ الْإِعْتِقَابِ لَهُ . فِي الْحَدِيثِ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَدْرِكْ بِسْمِ اللَّهِ هُوَ ابْتَرُّ .
الْكَلِمَةُ الَّتِي لَمْ تَبْدَأْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ سَمِيَتْ بَرَاءً . الْآيَةُ مَا لَا عُدَّةَ
لَهُ مِنَ الْمَزَادِ وَالْمَدْلَاءِ . الْآيَةُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْعَبْدِ . الْبُتْيَةُ الشَّمْسُ إِذَا بَهَرَتْ
وَذَهَبَتْ قُرُونُهَا وَنَبَلَهَا فَالنَّظَرُ فِي هَذِهِ الْأَنْحَاءِ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْآيَةَ هُوَ الْمَقْطُوعُ عَمَّا
يَعْنِيهِ وَيَمُودُ حَتَّى إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا بَهَرَتْ ذَهَبَتْ عَنْهَا نَبَلُهَا وَانْجَرَدَتْ قُرُصًا صَغِيرًا
سَمِيَتْ بَقِيرًا . وَكَذَلِكَ مِنْ بَرِّ رَحِمِهِ وَاقْطَعُ عَنْ عَصَبَتِهِ وَانْصَارَ هُ سَمَى ابْتَرُّ
لِذَلِكَ سَمَوْا الْغَيْرَ وَالْعَبْدَ الْآيَةَ لِقَوْلِهِمَا . وَتَعْلَى هَذَا الْأَصْلُ قَالَ قَتَادَةُ
فِي تَفْسِيرِهِ الْآيَةُ " الْآيَةُ الْحَقِيرُ الدَّقِيقُ الدَّلِيلُ " ، فَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَدْرُجُ
مِنَ الْمَقْطُوعِ إِلَى الصَّغِيرِ الْقَصِيرِ إِلَى الْخِزْلِ الْخَفِيرِ . هَذَا الْآنَ نَوَجِّهُ إِلَى تَأْوِيلِ
الْآيَةِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى .

(تأويل قوله تعالى " إِنَّ شَأْنُكَ بَرُّ الْآيَةِ ")

١٣- لا يخفى أن قوله تعالى [إِنَّ شَأْنُكَ بَرُّ الْآيَةِ] جواب ورد على من طعن
في البنى أن ابتر وبكذا فهمه المفسرون . وَأَمَّا مَرَادُ الطَّاعِنِ بِقَوْلِهِ هَذَا فَيَقْضَى
تَفْصِيلًا . فَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَنِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا بَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ظَنُّ تَرْكِشٍ
أَنَّهُ بَرَّ رَحِمَهُ ، وَتَرَكَ أَكْرَمَ بَيْتِ الْعَرَبِ ، وَحَرَّمَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ شَرَفٍ دَلَالَةِ الْكِبَرَةِ

وجاره نصار نزعهم كشجر قطع عن اصله فيوشك ان يفضيل امره ويتضاءل قدره
 فبشره الله بالبركة والكثرة والفتح والنفرة، وانه باطل ما زعم عدوه لهو المقطوع
 المخذول. ولما كان هذا الكلام رد الزعم كان فيه تعريض الى ان عدوه هو يسلب
 الشرف الذي يتباهى به نصارا خبارا بفتح ملة. وبهذا المعنى الذي هو ظاهر من جهة
 اللغو ونظم الكلام يؤيده ما جاء في الاخبار. قال السيوطي: «اخرج البزار وغيره بسند
 صحيح عن ابن عباس قال قدم كعب بن الاشرف مكة فقالت له قرئش
 انت سيدهم الا ترى الى هذا الصنوبر المتبر من قومه يزعم انه خير منا ونحن اهل
 الحجج واهل السقاية واهل السدانة قال انتم خير منه فنزلت ان شأنك
 هو الا تبر. واخرج ابن ابى شيبه في المصنف وابن المنذر عن عكرمة قال لما
 ادعى الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قرئش تبر محمد منا فنزلت ان
 شأنك هو الا تبر، واخرج احمد وغيره عن ابن عباس مثل ذلك.
 واخرج ابن جرير عن ابن بشار قال حدثنا ابن ابي عمير ان ابا داود بن ابي
 هند عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب ابن الاشرف مكة اتوه
 فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فحن خير ام هذا
 الصنوبر المتبر من قومه يزعم انه خير منا. قال بل انتم خير منه فنزلت عليه ان
 شأنك هو الا تبر، قال وانزلت عليه «الم تر الى الذين ادعوا انبياء الكتب
 يؤمنون بالحبس والطاعات ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين
 آمنوا سبيلا. اولئك الذين لعنهم الله ومن عين المدخلن تجد له نصيرا» و
 هكذا في حديث آخر عن عكرمة غير ان فيه «نحن اهل الحجج وعندنا منظر البدن»
 والمعنى واحد فانهم اتقوا الشرف منبتهم وطيب مغرسهم عند البيت المبارك
 وبان فيهم خدمة البيت وعبد النحر من لدن ابراهيم اصل البركات وسياق بني

في الفصل... فنزعو ان المنقطع عنهم كالصنوبر المنقطع لا تقبل مدة بقائه وكانوا
مطئنين بهذه الظن ابا طل يتدين على قول رئيس اليهود حتى ازال الصد عنهم الظواهر
حين علموا انهم هم المخذولون المقطوعون وقد وقع ذلك الوعد حين نزلت
سورة البراة فقطع كل مشرك عن المسجد المحرام . ذلك وذكر بعض ما دل
عليه هذه الآيات في الفصل الخامس عشر .

(موقع نزول السورة ودلالاتها على انها بشارة بفتح مكه)

١٠٠ تقدم في الفصول الاول ان السورة بشارة بفتح مكه وان احتمال
الماضي في قوله تعالى [انا اعطيتك] يدل على انجاز وعد الفتح الذي قرب .
فاما ترى في القرآن آيات يامر الله فيها بئيد للصبر والانتظار وان الله سينصره
وفي كل ذلك ابهام مثلاً قوله تعالى [اما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
فانما عيك البلاغ وعلينا الحساب] وايضا [فاما نذهب بك فانما منهم من يقعون
او نرينك الذي وعدهم فانما عليهم من قدرون] فلم يبين للنبي بل يكون حاله كحال
عيسى توفاه الله قبل النصر او كحال نوح اراه الله النصر العظيم او كحال ابراهيم
وموسى اراهما الله طرفاً من الفتح والبركة و وعدهما عند ظهور البعثة الاخيرة فكان
النبي والمؤمنان في ظلم الرجا حتى اذا نزلت هذه السورة فلق بهم الصبح وجاءتهم
تبشير الفتح . فلما نفهم من هذه السورة الا انها نزلت قبيل فتح مكه او عند فتحها
الاول . وهو مواعده قريش عند الكديمة . ويؤيد ذلك ما جاءنا من طريق الروايات
قال ابن جرير رحمه الله « حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرني
ابو صخر قال حدثني ابو معاوية البجلي عن سيعد بن جبير انه قال كانت هذه الآية لعني
نزل [فصل لركب وانحر] يوم المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال انحر واجرج

تقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقب خطبة الخطر والخرثم ركع ركعتين ثم انصرف
الى البدن فخر بها فذلك حين يقول [فصل لربك وانحر] قال السيوطي رحمه الله
بعد ذكر هذا الحديث دوقلت فيه غرابة شديدة، ولم يذكر وجه شدة الغرابة اعتماداً منه
على ظهورها لما توهم رحمه الله ان هذا القول يخالف الامر المشهور من وجوه مختلفة
ولكنها وجوه ناشئة من التوهم زمائلة بعد التامل الصريح فلنذكر بنا مع التنبية على بعضها
يتضح الحق الصريح: **فأقول** ان السورة مكية ويوم الكهنية كان بعد الهجرة و
يرفع هذا الوهم ان السور التي نزلت بعد الهجرة عند مكة ايضا تسمى مكية كما صرح به
العلماء. والكهنية بقرب مكة فان مينا ومين مكة مرحلة ومينها ومين مدينة قس
مراحل. وهي من الحرم. والثاني ان يوم الكهنية كان بعد مضي خمس
سنين وعشرة اشهر من الهجرة وقتل كعب بن الاشرف في السنة الثالثة
وقه ردى ان قوله [ان شانك هو الاتبر] كان في الذين سألوا كعبا هم
خبرام بن النبي كما مر في الفصل السابق فكيف يصح ان السورة نزلت في يوم
الكهنية. ويرفع هذا الوهم ان توهم نزل في كذا الايدل على الوقت بل على
مطابقة الآية بحال خاص نقوله تعالى [ان شانك هو الاتبر] ناظر الى كل من
كان شاناً له سواء فيه من مضي ومن ياتي الى يوم القيامة. وحين نزلت هذه
الآية كان اعداءه الذين ماتوا بالذلة والهوان شالاً لمن بقي ولم تنفك قریش
بعد مكالمتهم بكعب موقنين بكون النبي كما قال ذلك الغاشق حتى جاء الفتح وتبين
ان اعداء النبي هم الحق ولون فمن قال ان آية [ان شانك هو الاتبر]
في قریش الذين زعموا الكعب ما زعموا انما ذكر مطابقة هذه الآية بحالهم لان
الله تعالى رد عليهم طعنهم من غير مهلة. **والثالث** ان الآية الاخيرة ناظرة الى
عقبة بن ابى معيط طعنه في النبي بانه لا يهتدى له ولد وهو الاتبر. وعقبة هذا اسرى يوم

بدر وقتل فمين قتل من الاسارى دير تقع هذا الوجه بار تقع به الوجه الثانى .
 ح ان الآيه لازى تاويلها الى هذا الطعن . ولا ترى ان الاثر بهما لمن لا تحب له
 سخافة هذا التاويل وبعده عن القلم وفضه من جهة الرواية ايضا . فارتقت
 الغرابة عن قول سيد بن جبير . وثنين صوابه . ثم يوافقه ماروى عن محمد بن كعب
 القرظى فى تفسير الآيتين السابقتين حيث يقول . و ان انا ساكنوا ليعملون
 ويخرجون لغير الله فاذا اعطيناك الكوثر يا محمد فلا تكن صلواتك ونحرك الاالى
 فكانه بهذا القول بين ان قريشا شقوا هذا الكوثر بانهم لم يودوا هذه فتزعه عنهم و
 نطيكه فاذا اعطيناك وقد اعطيناك فادعه . ولا يخفى ان الامر باقتبال حكم متفرع
 على واقعة يدل على ان الواقعة قد وقعت او يستع كمال تعالى [اذا جاء نصر الله
 والفتح ورأيت الناس يمدحون فى دين الله افواجا فبجهد ربك و
 استغفره] فلم يفهموا من ذلك الا انها نزلت عند الفتح وعدم دخول الناس
 فى دين الله افواجا . فهكذا انهم من قول محمد بن كعب رحمه الله و اذا اعطيناك
 الكوثر ، الخ امى قد اعطيت وقرب ظهوره .

(النظر فى السورة من حيث مجموعها)

١٥ - ان صح عندك هذا التاويل الذى قد مناهم تأملت السورة بمجوعها ونظرت
 فى حدود آياتها اطلعت باوى بدوى على تضايقات آية . . . الا كوالى ان الله تعالى
 اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم وراثته ابراهيم والخلفيه اجابة دعائه فجعل لها
 ورثة من امته . والثانية انه قد سلب الله بهذا العطاء كل خائن كفور فانه
 ساخط بهم كما صرح به فى سورة الحج . والثالثة انه اذ ربط القطع عن هذا
 العطاء بصفة خاصة دل على علته . فبين . ان عداوة النبى يقطع عن بركة الله

واللابة انه باجل هذه الحرامان مخصوصا باعدائه دل على ان الفائزين بوراثته
 هم ابناء ، فحصلت لنا علاقة بين اهل الحق والباطل والمتبعين لهدى الله وسنة
 رسوله والرائعين عنها فالابتر من هذه الوراثته داخل في ثنائيه . والخاصة
 انه كاجل الصلوة والنحر شعار ابناءه جل تركها شعار اعدائه من المشركين و
 اليهود ومبتدعة الضاري والمبتدعة من هذه الامة . فمنهم من يستخف بالصلوة ، و
 منهم من يستخف بالحج ، ومنهم من تسلل عن كل ذلك . فالمضيون للصلوة والنحر
 والحج هم الاعداء للنبي والمستلوعون عن وراثته والمخذولون كاليهود والضاري
 ولكن في الاسلام بقية من اهل الحق والسنة ونرجو ان يحشرهم الله يوم
 منهم من يعزبه الاسلام ، وما ذلك على الله بعزيز . وقد قال عز من قائل
 [وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم] وما ذكرنا قد تبين ان
 السورة بشارة بفتح ميم كما قدمنا في الفصول المقدمة . وهي ايضا انذار لاعداء
 النبي بكونهم مقطوعين عن وراثته ابراهيم . فاول السورة وآخرها جاءا على
 اسلوب المقابلة وسطحا كالبرزخ بينهما ناظرة اليها اي من قام بالتوحيد
 وصلى ونحرا على الكثرة ، ومن خالف ذلك تبرعنه ، فمثل السورة كميزان
 ذي كفتين ، لان ، فحق كفته خير كثير فاعلمها ، وفي كفته تبرك كبير فاعلمها فتوازنها
 كتوازن الوجود والعدم ، وكما ان اللسان يتجه الى الجانب الثقيل فكذلك
 الآية الوسطى تتجه الى الآية الاولى ، ولذلك وصلها بالفاء وجعل الآية الثالثة
 مفصلة ، فدلّت باسلوبها ايضا على قطع اعداء النبي عن الكثرة الخصوص
 باجائه .

بشارة الرضوان لأمته صلى الله عليه وسلم

١٤- قد سبق ان المراد بـ «الاعطاء» هو الاعطاء العام للنبي واتباعه كما ان البشارة
 عام لجميع اعداء النبي واذ كان الامر كذلك فلم تكن هذه البشارة محض غلبة
 الاسلام على الكفر بل كانت بشارة رثة الله على امة هذا النبي في الدار الآخرة
 فعبّر عن هذا الفتح باعطاء الكوثر اياهم في القيمة. فلما وقع ما بشرت به السورة
 ظهر انهم صدقوا الله ورسوله فاجتباهم، وامتحن قلوبهم فرضى عنهم وارضاهم.
 وقد علمنا من تاريخ الانبياء ومن تصريح القرآن ان اول النبوة زلازل
 وصبر و آخرها بركات واجر نصار فتح مكة برلمانا على كوفهم اولياء بيته وشهداء دينه
 وخطباء ارضه فكان انجازاً لما وعدهم في قوله [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي
 ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا،
 ومن كفر بعد ذلك فاو لئك بهم المفسقون]. (نفسر بانجاز هذه الوعد بقوله تعالى
 [انا اعطينك الكوثر] فتشابه اللفظ لان. ثم تجد المشابهة فيما اتته قوله) واقموا
 الصلوة وآتوا الزكاة (فان ذلك تشبه قوله تعالى [فصل لربك وانحر] و
 اطيعوا الرسول لعلمكم ترجمون] وهذه الاشبه قوله تعالى [ان شانك هو الاتر]
 كما سيأتيك بيانه وكذلك سورة الفتح تمامها تجربة انما جعل الله لهذه الامة
 من الرحمة والسكينة والمغفرة والتمكن في الارض المقدسة. وهكذا جاء في
 صحف الانبياء لاسيما في الزبور وانشال سليمان. وقد اشار القرآن اليه حيث
 قال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) اي
 الارض المقدسة التي هي مثال لارض الجنة. وكما افضل هذه الارض و

واقدهما کاذکراً فی تفسیر سورة آل عمران و سورة الفیل . فخذ نزول هذه
السورة جعل یثین انجاز وعد الوراثة حتی اتھما اللہ فزع اللہ تعالیٰ ارضه المقدسة
عن ایدی الکفار و ادربھا المسلمین و بذلک بشرهم بانھم عبادہ الصالحون
و مصداق قوله [الذین آمنوا و عملوا الصلٰت] و انه جعلهم خلفاء فی الارض
وارثین لها و کم لهم دینهم و نفی عنهم الاعداء طراً . و بذلک صدق فی هذا النبئ
ما بشر به موسیٰ بنی اسرائیل من ان النبئ الموعود اذا جاء طیر الارض
المقدسة عن الکفار و لم یصدق ذلک فی احد من جاء من الانبیاء و الملوک
فی بنی اسرائیل کاتشہد به ما یدعیهم من صفھم المقدسة . و لذلک کانت
الیھود تنظر لمن یطیر الارض المقدسة من الکفار کما قال تعالیٰ [ولما جاء بهم کتب
من عند اللہ مصدق لما معهم و کانوا من قبل یتفتنون علی الذین کفروا فلما جاءهم
ما عرفوا کفروا به] فبذہ السورة إبان ظہور تلك البشارة حتی طیر اللہ الارض
المقدسة عن اعدائه .

(برہان دائم متصل علی صدق نبوة محمد صلی اللہ علیہ وسلم)

۱۰ - قد مر ان السورة اعلنت بان بناء القطع عن الکثرة ہوشنان البنی نصار
اخبارا بامر متصل دائم . و اذیس فی حدیثہ ان میشر بدوام سلطنتہ علی
ارض و قطع عدوہ عنہا فان الدھر لا یبقی علی حدثانہ ملک و لا جیل فکم منهم طارثم
وتق و اتقمہ الدھر و اتبع . فبذہ النبوة الصریحة التي نزل بها القرآن مع کونها بشارة
عظيمة صارت لنا برہانا داما متصلا علی صدق النبئ و ذلک اقوی دلالۃ من
نبوات قصت نجھما مثل ما جاء من نبوة عیسیٰ علیہ السلام [و انکم بما تکلون
و تدخر و ن فی یوتکم] و من نبوات منتظرة لم یقع الی الآن مثل نبوات

داينال وخرقل . وانبوة المتصلة اخرى بصواب البعثة الباقية فان الله تعالى لما جعله قائم الانبياء صدق فيه كثير من نبوات من قبله ومنه حجا وائمة متصلة ومن عظم البعثة ان يكون خرقا لاسباب الظاهرة . وقد مر ان السورة انزلت يوم الحديبية الذي كان الغلب الظاهر فيه للكفار كما يظهر من شرائط الصلح . حتى ان بعض الصحابة اظهر للنبي كراهية لما جرى به الصلح . واذنكم بعضهم صورة الكتابة حين لمره النبي بحج بعض ما كتب . فبين ان هذه البعثة لم تكن مما توقع وينتظر من الاسباب الظاهرة وذلك مثل اخبار النبي بنبلة الروم بعد بضع سنين مع شدة دلالة الاسباب الظاهرة على خلافه كما يراه في موضعه . وقد ذكر موسى وعيسى عليهما السلام من خصائص هذا النبي انه يخبرهم عما يقع عن قريب حتى يعرفوا انه هو الموعود كما جاء في التثنية اصحاح ١٨ « اقيم لهم نبيا وسط اخوتهم مثلك واجل كلامي في فمهم بكل ما اوصيه به ويكون ان الانسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه واما النبي الذي يظن فيكم باسمي كلاما لم اوصيه ان يتكلم به او الذي يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبي انه ان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فالتكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يعرفوا الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطييان تكلم به النبي فلا تخف منه ، وكما جاء في يوحنا اصحاح ١٤ واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية » فوقع فتح مكة بعد نزول هذه السورة بمسبة ، ودامت واتصلت هذه النبوة في حق المؤمنين الصالحين بشارة وفي حق اعداء النبي انذارا بنجات هذه البشارة جامعة لوجه من البرهان على صدقه والحمد لله العلي الكبير .

(تصدیق ما وعد اللہ ابراہیم من عموم البرکة و فیہ المشابہة بین ابراہیم
و محمد علیہما اتم الصلوات)

۱۸- قد تبین ما ذکرنا فی الفصول السابقة ان امدتعالی اعطی النحر اکثر لبتنا و
واجابه و قطع عنه اعداءه ففی ذلک تصدیق لما وعد اللہ ابراہیم من ان جمیع اهل
الارض یبارکون بنسبه و یبارک اللہ مبارک و یلعن لاعینہ فہذا ان امران
والاول یضاهی قوله تعالی [انا اعطینک اکثر] والثانی یضاهی قوله تعالی
[ان شانک هو الاثرانی کلا الامین] شلبہ عظیمہ بین محمد و ابراہیم علیہما الصلوات
و میان ذلک ان اللہ تعالی قد قضی بکلمة و رحمۃ ان یتبع البرکات مع ابراہیم
علیہ السلام فانه صار و ارثا لہا بعد نوح ؑ کما قال تعالی [ان اللہ اصطفیٰ آدم
ونوحا و آل ابراہیم و آل عمران علی العالمین] فاصطفی اللہ تعالی آل ابراہیم فقط
بعد نوح فان آل عمران ایضا من ذریۃ ابراہیم . ثم بوسیلة اثبات ابراہیم وعد اللہ
شمول البرکات جمیع اهل الارض فقد جاء فی سفر تکوین ص ۱۲ و قال الرب
لابراہیم اذهب من ارض ابیک و من عشیرتک و من بیت ابیک الی
الارض التي اریک فاجعلک امة عظیمة و ابارکک و اعظم اسمک و یتکون برکة و
ابارک مبارکک و لا ینکف آتئذ و یتبارک فیک جمیع قبائل الارض ، و ہذا
فی قصۃ ہجرة الی موضع المردۃ التي قرب علیہا ابنہ اسمعیل علیہ السلام فاشار
الی ان عموم البرکة یتکون بذریۃ کما صرح بہ فی موضع آخر فقد حاد فی تخریج (۱۶: ۲۲)
۱۸- بذاتی اتممت یقول الرب انی من اجل انک فعلت ہذا لا تمزق تمسک
ابنک و حیدک ۱۹ ابارکک مبارکة . . . ۱۸ و و بارکک فی نسبتک جمیع
امم الارض من اجل انک سمعت تقولی ،، فصرح بان اصل البرکة یتوحد فیہ

ابن قريانا فنع ان البركة عمت ذريته من اسحق عليه السلام ايضا فان نبوهما
كان في ذرية اسمعيل الذي قربه، ثم دل على حقيقة هذا السبب في موضع آخر فقجا
في سفر تكوين ص ١١ « و ابراهيم يكون امته كبيرة وقوته وتبارك به جميع اعم
الارض لانني سوف اكون لكى يوصى بنيه وبنيه من بعده ان يخطوا طريق الرب ليعلوا
برا وعدلا لكى ياتي الرب لابراهيم بانكلم به، اى البركة التى وعد بها لابراهيم
عليه السلام فقلنا ان حقيقة الدين الذى اعطى ابراهيم هى البر والعدل والآن
فانظر كيف صدق الله هذه الامور بعبثتنا صلى الله عليه وسلم فانه تعالى شتم هذا
الموضع الذى كان اصل البركات ثم اعطاه اياه وادركته شريفة البر والعدل .
فجعلنا دارنا لابراهيم عليها الصلوات وصدق فيه عدم البركة لجميع اهل الارض
لما انه بئس لكافة الناس كما قال تعالى [وما ارسلناك الا كاتبة للناس بشيرا
ونذيرا] وايضا [وما ارسلناك الا رحمة للعالمين] فاجعل الله نبوته شاملة لكافة
اهل الارض جعل البركة شاملة لاتباعه الذين يباركونهم الذين يباركون ابراهيم
عليه الصلوات وفيه تصديق ما وعد ابراهيم « وبارك مباركك » وذلك بان المباركة
هى دعاء البركة والنجى في الابل والذرية فمن بارك رجلا بارك ذريته ومن
بارك ذرية رجل فقد بارك بذلك قطره من ذلك انا نبارك ابراهيم حين نصلى
على محمد وكذلك نبارك ذرية محمد والذين نصلى عليه . ولذلك نقول في الصلوة
« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » اى
بما انك صليت على ابراهيم وآل ابراهيم فصل على محمد وآله انجاز الوعدك . ولا نجد
هذا الامر بالمباركة لغيرنا ، فان الله تعالى امرنا بذلك فقال [ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] ولذلك نختم صلواتنا كلها بهذه
المباركة . وآما اليهود والنصارى فلا يردن الصلوة فريضة واذا صلوا فلا يباركون فيه

على ابراهيم ولا على احد من ذرية نضارت المباركة شعرا لله محمد صلى الله عليه وسلم
لانا في تشهدها نقوض الصلوات الطيبات اول الله تعالى ثم لبها جميع عباده
الصالحين ، ونذكر بانخصوص نيئا و ابراهيم اعترافا بجهتها علينا وذلك من البر والعدل
الذين بهما تنزل البركات كما مر . ثم من تصديق عموم بركة هذه الشريعة ان الله تعالى
امرنا بها بالبر والعدل بجميع الناس ، فقد قال تعالى [لانيكم الله عن الذين لم يلقاكم
في الدين ولم يخرجوكم عن دياركم (اي الذين هم اعداء البر والعدل) ان تبروهم و
تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين] وقال تعالى [يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهادة بالعدل ولا يخرجكم شتان قوم على ان لا تعملوا اعدوا هو اقرب للثبوت
وكذلك تجد العموم والتساوي بين جميع الناس في جزئيات احكام هذه الشريعة
الكاملة كما هو مبسوط في موضعه ، ولا يخفى ان الكعبة اقامها الله تعالى للبر والعدل لانهما
على التوحيد والذكر والشكر لله تعالى والمواصلة بالناس وقد علمنا القرآن
ان التوحيد راس العدل كما قال تعالى [ان اشرك نظم عظيم ما قد بينا فيما مر
ان الصلوة والنحر للتوحيد والذكر والشكر ، المواصلة فكل ذلك طرق البر
والعدل ، ههنا من هذه الجهة ايضا الى ان الكعبة هي منبع البركات لكونها مركز التعليم البر
والعدل ، وكذلك رأينا في هذا الفصل ان الله تعالى بارك ابراهيم عليه

الصلوات ليليل هذه البيت ، فلهذه الامور ايضا تدل على

ان الكعبة هي نبوع الكثرة ، وهذه آخر ما تيسر من ذكره .

في تفسير هذه السورة وآخروها ان الحمد

لله رب العالمين ، والصلوة على

جميع عباده الصالحين

فہرس مصنفات صاحب ہذا کتاب

اجزاء من تفسیر المسمی نظام القرآن

آیات

| | | |
|----|--|----|
| ۴۴ | تفسیر درۃ تہذیب الابی سب | ۴۴ |
| ۴۴ | تفسیر سورۃ القدر | ۴۴ |
| ۴۴ | تفسیر سورۃ عبس و قی | ۴۴ |
| ۴۴ | تفسیر سورۃ القیامہ | ۴۴ |
| ۴۴ | تفسیر سورۃ الدھن | ۴۴ |
| ۴۴ | تفسیر سورۃ الکھدود | ۴۴ |
| ۴۴ | تفسیر سورۃ العصر | ۴۴ |
| ۶ | تفسیر سورۃ الذریت | ۶ |
| ۶ | تفسیر سورۃ الکھدود | ۶ |
| ۶ | امعان فی اقسام القرآن | ۶ |
| ۱۰ | الرای فی الصحیح فی من ہذا الذبح | ۱۰ |
| ۶ | اسباق الخو، سہل طرز پر عربی گرامر بزبان اردو حصہ اول ۴ حصہ دوم | ۶ |
| ۱۲ | دیوان حمید، بزبان فارسی | ۱۲ |
| ۸ | خردنامہ، ترجمہ اشغال حضرت سلیمان علیہ السلام منظوم بزبان درمی | ۸ |
| ۲ | تحفۃ الاعراب، عربی کی نوجو جدیدہ اردو نظم میں | ۲ |

تطلب من مدرستہ الاصلاح، سہل تفسیر عظیم کلام

